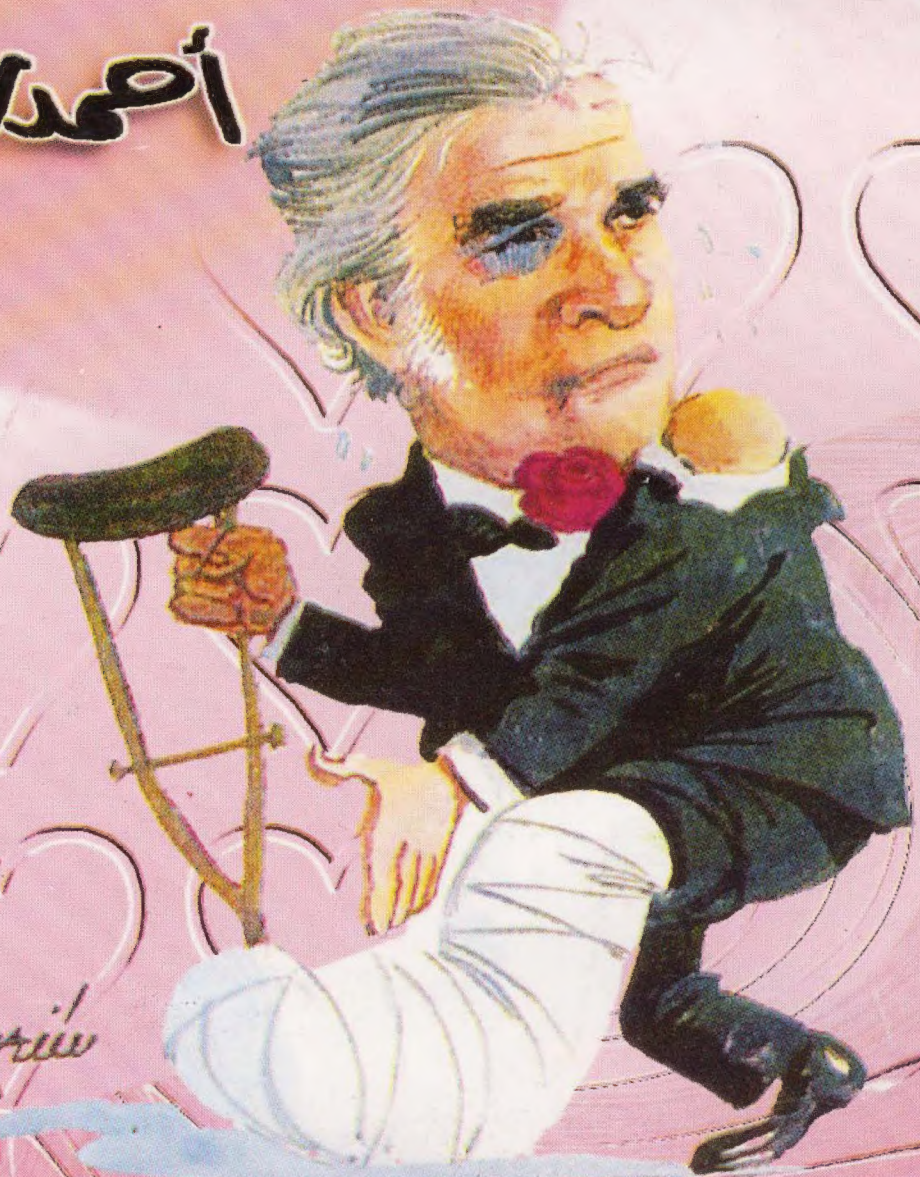


مطبوعات أخبار اليوم

قطاع الثقافة

الحبي وسينيه

أحمد رجب



الحب وسنينه

أحمد رجب

■ رئيس مجلس الإدارة :

إبراهيم سعدة

دار أخبار اليوم
قطاع الثقافة

جمهورية مصر العربية
٦ شارع الصحافة
القاهرة

تليفون/ فاكس
٥٧٩.٩٣٠

تصميم الغلاف : أشرف حسين

الإهداء

إلى الشيخ يوسف المازنون
الذي عقد قراني
مع حبي الشيد جراً جراً

أحمد / عبا

يبكى الرجل عند مولده بلا سبب
وبعد زواجه يعرف السبب
أحمد ربه



من الصعب وصف الغيرة الهوجاء التي تعصف بالدكتورة كريمة ،
كما يصعب - من جانب آخر - وصف الهدوء الذي يقابل به محمود هذه
الغيرة ، إذ أنه يتمتع بكم هائل من برود الأعصاب واللامبالاة ، ويرى
فيما تفعله زوجته أمراً طبيعياً ، فمن غباوة الرجل - في نظره - أن يعتبر
أن هناك فارقاً بين الزواج وبين الحادث المؤسف .

ولا ينبغي تبرة محمود تماماً مما تنسبه إليه زوجته ، لكن من العسير
أن يصدق إنسان أن محمود يغازل جميع صديقاتها في وقت واحد ، حتى
انتهى الأمر بكريمة إلى أنها لم يبق لها من الصديقات سوى صديقة
واحدة وحيدة هي مرفت ، وهي فتاة فاتها قطار الزواج منذ زمن طويل
ويطلق عليها محمود اسم « مرفس » لشدة الشبه بينها وبين بعض
الحيوانات التي ترفس ، كما أنه يزعم في المجالس أن مرفت - أو
مرفس - هاربة من التجنيد .

وعندما تبرع محمود بجانب من وقته ليعمل مستشاراً قانونياً لإحدى
جمعيات الخير ، اتهمته كريمة بأنه لم يفعل ذلك حباً في الخير ، بل فعله
حباً في مدام رشيدة أجمل الأعضاء ، وترك محمود الجمعية ، لكن مدام
رشيدة بقيت تهمة معلقة فوق رأسه .

ثم تنوعت أسماء السيدات اللاتي أصبحن تُهماً تطارد « محمود »
واحدة بعد أخرى ابتداء من مدام فافي إحدى موكلاته ، ومروراً
بزينات وليلى وأمينة وعين الحياة أعضاء النادي ، وانتهاء بالفنانة
شكزية .

وما أن اقترب موعد سفر كريمة إلى مؤتمر طب الأطفال حتى اختفت مشكلة شكرية وبرزت مشكلة درية .

وعندما واجهت كريمة « محمود » باسم درية لأول مرة ، قال لها بهدوئه المعهود إنه لا يعرف امرأة بهذا الاسم ، واستمر يقلب صفحات الجريدة بين يديه .

- درية كانت خطيبتك .

- خطيبتي أنا؟؟

- أترك هذه الجريدة ولا تتصنع البلاهة .

- لم أعرف فتاة اسمها درية .

- إنها الآن سيدة .

- حسنا . . لم أعرف امرأة اسمها الليدى درية .

- أنا لا أمزح .

- ولا أنا .

- ألم تحبها ذات يوم ؟

- لا أتذكر .

- لا تتذكر فتاة طلبت يدها ؟ نسيت درية قدرى ؟

- إسمها درية قدرى ؟

- كم يقتلنى أنك كاذب ولعوب وتتنق تصنع البراءة .

- لا يوجد رجل كامل .

بهذا الأسلوب من اللامبالاة ، واجه محمود التهمة ، وكالعادة ارتاح إلى هذا الاتهام الجديد ، فإن الاحتداد الساخن الذى تبديه كريمة يعقبه صلح قصير تتحول هى فيه إلى حبيبة رقيقة دافئة العواطف ، كأنما تحاول من جانبها استعادته من المرأة الجديدة التى تتهمه بأنه يحبها .

- لماذا تنقصك الشجاعة يا محمود ؟

- هناك رجال لا يملكون الشجاعة أمام الكوارث .

- تعتبرى كارثة ؟

- أراك تحسنين استعمال ذكائك .

- لا تثرنى أرجوك .

- حبيبتي .. أريد أن أنام .
- ليس قبل أن تحدثني عن درية .. هل تود أن أذكرك بها ؟!
- ذكريني .
- الفتاة التي تشبه كلوديا كاردينالى .
- كلوديا من ؟
- الآن أستطيع أن أفسر إعجابك الدائم بنجمة السينما الإيطالية ..
- لأنها تشبه درية طبعاً .
- لابد أن أكون مغفلاً عندما أفسخ خطبتي لفتاة فى جمال كلوديا كاردينالى .
- تأزم الموقف . فقد بكت كريمة لأنه لا يزال يصبر على امتداح جمال خطيبته السابقة ، وتركها محمود تبكى ، غير أنه قبل أن يتشاءب ثناؤب الرغبة فى النوم أكد لها فى هدوء أنه لم يعرف فى حياته فتاة اسمها درية كاردينالى .
- درية قدرى .
- درية قدرى . لا تغضبى . تصبحين على خير .



كانت السيارة تقترب من المطار عندما ألقى محمود نظرة على الساعة أمامه . بعد تسعين دقيقة سيصبح حراً . ستحلق الطائرة بكريمة إلى مؤتمر طب الأطفال فى ستوكهولم . من محاسن الصدف أن ستوكهولم هذه بعيدة جداً . فى الدور العلوى من الكرة الأرضية . ستغيب كريمة أسبوعاً ، والولد الصغير سوف تتكفل به جدته . ما أروع هذه الإجازة يا محمود ! وكم هى ساذجة كريمة هذه . لقد اهتمته ظلماً بأنه يعرف رشيدة وفافى وزينات وأمينه ولىلى ، ولكنها لم تستطع أن تتوصل إلى اسم واحدة ممن يعرفهن فعلاً كجلوريا عارضة الأزياء ، وثاتو ، وشوشيت ..

شوشيت ! سوف يلتقى بها الليلة فى مطعم دوشس الشاعرى ، هناك على الطرف الصحراوى من حافة المدينة . فهو رتب كل شئ

حتى لا تضيع منه دقيقة واحدة من أيام الحرية الجميلة .. لقد سألته
شوشيت عن الفستان الذى يجب أن يراها به . كل الفساتين جميلة
عليك يا شوشيت .

ما رأيك فى أن ألبس الفستان الموسلين الكحلّى يا محمود ؟
فعلا هذا الفستان ...

- فجأة قطع خواطره صوت الدكتورة كريمة :

- اعتن بنفسك يا محمود .

وهز محمود رأسه : لا تخشى شيئاً .. سأعتنى بنفسى كثيراً .

- سيتولى عم حسنين إعداد مائدة الغداء كما سيجهز لك وجبة العشاء على
المائدة قبل أن ينصرف .. ولقد ملأت لك الثلاثين الكبيرة والصغيرة
بزجاجات عصير البرتقال .. عصرته لك بنفسى .. أعرف أنك تفضل
شربه فى المساء منذ أن أقلعت عن الخمر ..

- أشكرك .

كانت كريمة قد اقتربت من باب صالة المغادرة وحانت لحظة الوداع .
أمسك محمود بيدها ولثمها ثم عانقها وقد بدا على وجهه تأثر عظيم ..
وضغظت على يده باسمه تقول فى نبرة بين الجد والمزاح :

- هل ستحاول خيانتى ؟

- سأحاول ألا أفعل ذلك .

- كن جاداً . أراك غير متأثر لفراقى .

- بل متأثر جداً .. ألا ترين وجهى ؟

- يا حبيبى لم أكن أريد السفر . أنت بدونى طفل خائب .

- أعرف ذلك .

وابتعدت عنه ، وظل يلوح لها بيده حتى اختفت .



وقف محمود يرتدى ملابسه فى المساء تراوده غبطة خفيفة أقرب إلى
مشاعر الولد المراهق . وسعد كثيراً وهذه المشاعر تدغدغ كيانه . إنه
لا يتذكر الآن من الذى قال إن مقاومة الإغراء تشعر الإنسان بسعادة

كبيرة ، ولكن الذى لاشك فيه أن الاستسلام للإغراء يشعر الإنسان
بسعادة أكبر . لابد أن الذى قالها كان مراهقاً أرعن كحاله الآن .

أطلق صفيراً مرحاً وهو ينظر إلى ساعته . لابد أن شوشيت قد
انتهت من لبسها وزينتها الآن . وأدار قرص التليفون .

- مدام شوشيت مريضة يا سيدى .

- ماذا تقولين ؟

- حرارتها تقترب من الأربعين ، وقال الطبيب الذى عاها إنها إنفلونزا
حادة ، وهى نائمة الآن يا سيدى .

ما هذه المهزلة ؟ هل هذا وقت إنفلونزا يا عالم ؟ إن أيام الحرية
المعدودات لا ينبغي أن تضيع منها دقيقة واحدة .

واتجه نحو المكتبة . وعلى المكتب وجد ورقة كتبت فيها كريمة
ما رددته له فى المطار عن عم حسنين الذى سوف يطعمه فى الظهيرة
ويجهز له وجبة العشاء ، وعن البرتقال الذى عصرت له ، ثم
إرشادات : إذا قطع زر من أزرار قميص أو غيره فوالدتها سوف تتكفل
بهذا العمل . إغلاق اسطوانة البوتاجاز فى الحمام قبل النوم . . إلى
آخره . . . إلى آخره .

طيبة والله كريمة يا محمود . رغم مظاهرات الغيرة التى تعكر عليك
صفو حياتك ، إلا أنها صافية القلب حسنة الطوية ، ولعل ما يغفر لها
كثيراً هو حبها الجارف لك . . ما الذى يجعلك تفكر فى كريمة الآن ؟
المطلوب منك أن تفكر الآن أين ستذهب الليلة . المشكلة أن جلوريا
فى رحلة عرض أزياء بالخارج ، وتأتو فى البحر الأحمر وتعود غداً .
وأدار قرص التليفون . .

- مدام زازا موجودة ؟

- المدام فى المستشفى يا فندم .

- خيراً . ماذا حدث ؟

- أصابها انفيار شديد لأن والدها البقية فى حياتك .

- حياتك الباقية .

للأسف . هناك رجال يموتون في الوقت غير المناسب .
وضع محمود سماعة التليفون وقد أصابته خيبة أمل فادحة . وفي
خطى متثاقلة اتجه نحو المطبخ وصب لنفسه كوباً من عصير البرتقال ،
ومضى شارد الذهن نحو غرفة النوم يفكر في مصير هذه الليلة من ليالى
الحرية التى ذهبت هدرًا .

تمدد فوق الفراش فى ملل واضح يحتسى كوب البرتقال على مهل ،
ووقعت عيناه على أوراق مطوية بجانب منضدة الزينة . . لا بد أنها
سقطت من كريمة ، ونهض والتقط الأوراق ، وفرد الورقة الأولى : إنها
نشرة طبية عن دواء جديد ، الورقة الثانية إيصال استلام مسجل
لإصلاحه ، الورقة الثالثة من دفتر روشتات كريمة مكتوب فيها بخطها :
درية قدرى خطيبة محمود السابقة تعيش بمفردها بعد انفصالها عن
زوجها بالطلاق . قالت لى سعاد : إن درية سيدة جميلة جداً جداً . فى
الثانية والثلاثين من عمرها ، فارعة القوام ، خمرة البشرة ، خضراء
العينين . قالت لى سعاد : إن تقاطيعها تشبه تقاطيع كلوديا كاردينالى
على أجمل .

من تكون سعاد هذه ؟؟ هذا لا يهم الآن . فى ركن الورقة كتبت
كريمة رقم تليفون هل هو رقم تليفون درية ؟؟
ولم يستطع محمود أن يقاوم . مده إلى قرص التليفون . وجاء ،
صوت دافىء خفيض يمس أذنه مساً :
- آلو .

- مساء الخير يا فندم .

- مساء الخير .

- هل هذا منزل مدام درية قدرى .

- أنا درية قدرى .

وقدم إليها محمود نفسه . قال لها ضاحكاً إنها تتسبب له فى مشكلة
عائلية ، إذ تتصور زوجته أنها كانت مخطوبة له قبل زواجه منها ،
وضحكت درية ثم قالت له : إنها فعلاً كانت مخطوبة لشاب اسمه
محمود عزت .

- أنا؟؟

وضحكك درية .. الصراحة أنت أكثر وسامة من محمود عزت
الذي كان خطيبى .

- هل رأيتنى ؟

- مرة واحدة فى حفل استقبال .. أشاروا إليك وقالوا لى هذا هو محمود
عزت الذى يحمل اسم خطيبك السابق ، فقلت لهم : لا .. هذا
أفضل كثيراً من محمود .

- أترين ذلك ؟

- مؤكد .

كانت هذه الكلمات الرقيقة والجريئة من جانبها كفيلة بأن تسعد
محمود كثيراً كثيراً .. وتعوضه عن هذه الليلة الضائعة . واستأذنها فى
أن يتصل بها فى اليوم التالى فرحبت . ووضع الساعة وهو مأخوذ بهذه
المفاجأة السعيدة التى لم يكن يتوقعها . درية قدرى أبدت إعجابها به ؟
درية قدرى فإربعة القوام ، خمرية البشرة ، خضراء العينين ، وتشبه
معبودته كلوديا كاردينالى على أجمل ؟ ما هذه المفاجأة الخرافية ؟
وأحس محمود بخدر للذيد يسرى فى كيانه ، وخلع ملابسه ونام فى
الأحلام السعيدة .

فى اليوم التالى اتصل بها من مكتبه ، وكان واضحاً أنها فى عجلة من
أمرها ، فرجته أن يتصل بها فى العاشرة ليلاً لأنها مشغولة ، وبعد
حديث قصير عادت تؤكد أنها فى انتظار تليفونه .

وأسرع محمود إلى البيت فى انتظار الساعة العاشرة .. وقال لها إنه
- طوال حياته - لم ينتظر الساعة العاشرة بهذا الشوق ، ربما ضايقه قليلاً
أنها كانت على شىء من التحفظ وأقل انطلاقة من الأمس ، لكن
ما لبث ضيقه أن تبدد عندما سألته ماذا يحتسى ؟ فلما قال لها إنه يشرب
عصير البرتقال أظهرت ارتياحاً وقالت : إنها لا تحب صداقة الرجل
الذى يشرب الخمر .

صداقة؟؟ هذه بشرى رائعة .

فى الليلة الرابعة نسى محمود تماماً أمر شوشيت وجلوريا وزازا وأية

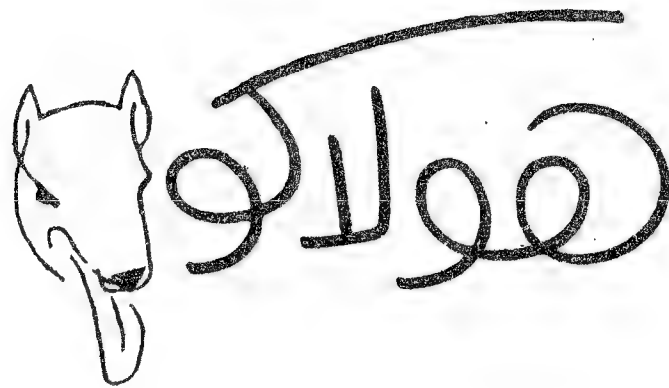
امرأة في الدنيا ، فقد وعدته درية باللقاء عند أول فرصة تسنح لها . ربما غداً . ربما بعد غد . فإنها تعاني بعض الظروف المعاكسة وسوف تحدثه عنها بالتفصيل عند اللقاء .
- هل أحضرت كأسك ؟
- عصير البرتقال بجوارى .
- وفي يدى عصير الليمون .. فلنشرب نخب صداقتنا الجميلة .
في الليلة الخامسة همست في أذنه على استحياء بأول اعتراف لها بحبه .

وراح ييثها غرامه ، ثم شربا نخب الحب .
واكتشف محمود أن هذه السيدة كأنما تطهره من خطاياها . أصبحت كلماتها وهمساتها كل ليلة خدراً يسرى في كيانه وتسلمه لنوم سعيد زاخر بالأحلام الحلوة .



عندما عادت كريمة من المؤتمر أبلغتها صديقتها مرفت أنها قامت بدور درية قدرى خير قيام ، وأن « محمود » لم يسهر في الخارج ليلة واحدة ، وكان يأوى إلى فراشه مبكراً بفعل المادة المنومة التي وضعتها كريمة في عصير البرتقال .





اعتادت زوجتي عايدة أن تقتني الكلاب الصغيرة المدللة ، لكن بعد انتقالنا من ضاحية المعادي رأت أن الفيللا في حاجة إلى كلب حراسة ، فجاءت بهذا الكلب من فصيلة الوولف واختارت له اسم هولاكو حتى يوقع الرعب في أوصال أى لص يحاول التسلل إلى الفيللا ، فقد افترضت عايدة أن الكلب سوف ينطق في وجه اللص قائلاً : أنا هولاكو ، كما افترضت أن اللص عنده خلفية ثقافية عن الدور الدموي الذي قام به هولاكو قائد التار .

لكن الكلب لم يوقع الرعب إلا في قلبي أنا !
فإنني أموت رعباً من الكلاب منذ أن عقرني كلب في صباي .
وعندما أحببت عايدة أيقنت أن الحب يفعل المعجزات ، فقد روضني الحب على معايشة كلابها الصغيرة المدللة ، ولما جئنا إلى هذا المسكن الجديد ، حاولت زوجتي أن تختبر رد الفعل عند كلبها الصغير « بامبو » إذا دخل الحديقة لص فكان الكلب يسرع إلى الاختباء في صمت إذا عبر باب الفيللا شخص غريب ، ثم يطل بنصف رأسه يدعونا إلى الاختباء معه تحت الكنبه تجنباً للخطر القادم .

وشاهدت في البيت بعد ذلك كلباً صغيراً ، فلم يلفت ذلك نظري ، ولم أتوقع أن يغدو هذا الجرو الوادع ذئباً ضخماً رهيب الأنياب .. اسمه هولاكو !

ورغم كل المساوئ التي أصابتني من هولاكو ، فإن كل بلاء لا يخلو - على ضره - من ميزة ، فقد كفت عايدة عن الدخول معي في مناقشات

استفزازية عما قيل من أنني أعرف سيدة اسمها مسز نورما كانت زميلة دراستي في أمريكا . . وجاءت إلى مصر تعد رسالة علمية . انتهى هذا الموضوع ؛ وأصبح موضوع خلافاتنا الدائم : هولاكو . وكانت أول أزمة حادة بيننا عندما قرر الطبيب أن هولاكو يعاني اكتئاباً ، وقالت عايدة بصراحة - وبصوت مختنق - إنني السبب في تعاسة الكلب .

- ماذا يا عايدة ؟

- لأن هولاكو لا يشعر بالأمان في وجودك .

- هل هو خائف أن أهجم عليه وأعضه .

- بالضبط .

- ماذا تقولين ؟؟

- قال الطبيب أن الحيوانات كالأطفال ، عندها إحساس قوى بما إذا كانت مرغوبة أو غير مرغوبة ، والحيوان المهاجم عنده رادار داخلي يكشف له عن الإنسان الخائف أمامه . هنا يقف الحيوان في تحفز لأنه يعرف أن خوف الإنسان قد يدفعه إلى أن يبدأ الهجوم ، لهذا يزجر هولاكو كلما رآك ، ولهذا أيضاً مزق أمس بنطلونك . مسكين هولاكو .

- الحمد لله أنني لم أكن داخل البنطلون . . بودى لو أعرف لماذا بدأ يمزق ثيابي ؟

- معذور طبعاً المسكين .

- كان الله في عونك .

- كل هذا تنفيس عما يحس به ، ولا بد أن تتخلص من خوفك منه حتى يشعر الكلب بالأمان . لا بد من تطبيع العلاقات بينك وبين الكلب .

أجدت الدفاع عن نفسي أمام عايدة ، وأقسمت لها أنني لا أعتنق أى سياسة تفرقة عنصرية بيني وبين الكلاب ، وأنني والكلب سواء في البيت ، وإذا كان يطالب بامتيازات خاصة فإنني على استعداد لكى أفعل أى شيء من أجل ترضيته .

في اليوم التالي جلست مع عايدة لنبحث في كيفية تطبيع العلاقات ، وعندما استدعت عايدة الكلب لتفهم وجهة نظره ، تبين لي ما لم أكن أعرفه ، فقد كانت عايدة تصحب الكلب وهو صغير إلى النادي حيث

ذاع صيت مدرب شهدوا له بالبراعة فى تدريب هذا النوع ، وتم تدريب هولاء باللغة الفرنسية التى لا يعرف المدرب سواها ، من هنا فشلت المحاولات التى كنت أبذلها فى البداية للتودد إلى الكلب من بعيد ، إذ هو جاهل بلغتى العربية جهلى بلغته الفرنسية .

ولما أمرت عايدة هولاء أن يجلس بهدوء وبلا زججرة - كعادته عندما يلقانى - استجاب للأمر وقبع جالساً ، وقد رأت عايدة أن تشرح لى لغة الكلاب حتى تيسر سبل التفاهم بينى وبين الكلب ، فعندما قبع هولاء أمامنا مرتحنى الأذنين كان يعبر - بحركة أذنية - عن قلقه وأسفه لوجودى ، وذيل الكلب مهم فى فهم حالاته النفسية ، فإذا حرك ذيله بسرعة وبشكل أفقى فهذا يعنى أنه سعيد ، أما إذا وقف بذيل مرفوع إلى أعلى فهذا معناه التحفز للهجوم ، وعن النباح فالكلب لا ينبج إلا إذا أحس بخطر يقترب ، وقد ينبج مللاً من الوحدة أو رداً على نباح ، ولم أشأ أن أستفسر من عايدة عن المقامات الموسيقية التى تميز نباحاً عن آخر وتقلبه من سيكاه إلى نهاوند ، لكننى فهمت منها أن الكلب يغير نغمة النباح ويحولها إلى عواء إذا استشعر الفزع أو الألم ، وقد أدهشنى أن تقول عايدة إنها سمعت هولاء ذات ليلة يعوى فزعاً منى .

- منى أنا؟؟

- هزت رأسها فى أسف لتقول : أنت لا تعرف كم يعانى هذا الكلب المسكين منك ، المهم الآن أن تبدأ معه صفحة جديدة ، وأحمله الآن على أن يعتذر لك عما فعل ولو أن هذا الاعتذار سيشكل ضغطاً على أعصابه .

وأمرته عايدة أن يعتذر لى ، فتقدم هولاء نحوى مطأطأ الرأس بينما مفاصلى ترتعد ، وحك رأسه فى ساقى ، ثم لعق قدمى لعقتين واستدار عائداً إلى جوارها ، وقد رأت زوجتى أن كرم الأخلاق الذى أبداه هولاء يوشح بالخير ، فشجعها ذلك على أن تقوم بمهمة الترجمة بينى وبين الكلب ، فكان هولاء ينظر نحوها طويلاً ، ثم ينظر نحوى بمنتهى القرف ، وفى النهاية مضى خارجاً دون أن يصدر منها أمر بأن

ينصرف ، وآثرت عايده ألا تلومه على هذا التصرف حتى لا تضغط أكثر على أعصابه الرهيفة المرهقة .

بعد يومين من جلسة تطبيع العلاقات بينى وبين الكلب ، خرجت أمارس رياضة المشى فى شوارع المعادى . لم أكن قد ابتعدت كثيراً عن البيت واكتشفت أن هولاءكو يسير على مقربة منى . توقف . . فتوقفت ورجوته بأدب شديد أن يعود إلى البيت . نظرت إلى ذيله لأعرف الرد . كان موقفه غير ودى على أى حال ، فالذيل مرفوع إلى أعلى ولكن بغير زججرة ، حاولت التماسك أمامه حتى لا أشعره أننى خائف منه ، وإمعاناً فى إظهار التماسك ، أطلقت ضحكة عصبية بلهاء ، لكنه ظل على حاله يحملى فى لاهتاً ، فأعدت إطلاق الضحكة المفتعلة لأطمئن هولاءكو أننى لست خائفاً ولن أنوى الهجوم عليه . وتكررت ضحكات دون جدوى . وترامى إلى سمعى صوت من أحد البيوت خلفى يقول : ماذا جرى فى الدنيا . . رجل يبدو عليه الاحترام ولكنه مجنون . لا حول ولا قوة إلا بالله .

كان أفضل الحلول لهذا الموقف هو أن أعود إلى البيت ، وفوجئت بأنه يسبقنى فى الطريق إلى الفيلا ثم يتوقف بين حين وآخر وهو يهز ذيله هزة الود ! ما الذى حدث ؟ لعله حريص على وجودى فى البيت من باب المحبة وعدم احتمال الفراق . من يدرى ؟

غير أن عايده انزعجت بشدة عندما علمت أن هولاءكو ترك حراسة الفيلا وخرج معى ، فأسرعت تتصل بالمدرّب تليفونياً لتطلعه - كما قالت - على هذا الخطأ الجسيم الذى ارتكبه الكلب ، فضرب لها موعداً لإحضاره .

وفى اليوم التالى كنت مدعوأ فى تمام الساعة الثامنة مساء إلى الحفل الذى سوف يحضره الوزير ويسلم فيه الأوسمة التى تقرر منحها للخبراء الأجانب الثلاثة الذين عملوا معى . وجاءت جلستى إلى جوار الوزير لكى أقوم بالترجمة بينه وبين الخبراء . كنت أرتدى حلة سوداء أنيقة وكان مظهرى كله طيباً ومشرفاً ، إلا أننى قدرت وقوع البلاء الذى لم يكن هناك بد من وقوعه ، فقد كان ذيل البنطلون يرتفع إلى منتصف

ساقى بسبب الجلسة في المقعد المريح ، وما لبث الوزير أن سألني في دهشة : ماذا أرى يا دكتور عبدالغفار ؟

ماذا أقول للوزير ؟ هل أقول له إنني ألبس الحذاء الأسود بلا جوارب لأن هولاكو فتك بجميع جواربي اليوم وحوّلها إلى كنانة ؟؟ هل أقول له إنني ظللت حتى اللحظات الأخيرة أنتظر أخي يأتي لي بجورب من عنده فلم يسعفه الوقت ؟

متوقفاً هذا السؤال من الوزير أو غيره ، زعمت له أنني مصاب بحساسية شديدة ضد الجوارب تجعل أقدامى تلتهب بشدة .

- ولماذا لا تلبس جوارب قطنية ؟

- بل أنا لا ألبس إلا جوارب قطنية .

لست أدري لماذا اهتم الوزير اهتماماً خاصاً بأمر أقدامى العارية المصابة بالحساسية ، وعندما أشار إلى بالذهاب إلى طبيب من أصدقائه قلت له أنني تحت العلاج فعلاً . ولقد كلفتني هذه الأكذوبة بعد ذلك أنني في كل مرة يستدعيني فيها الوزير إلى مكتبه أخلع جوربي في السيارة .

كانت حادثة الجوارب وما ترتب عليها منعطفاً هاماً في موقف عائدة ، فقد أبدت - لأول مرة - أسفها لهذا المسلك الشائن من الكلب ، وهدأت من ثائرتي وهي تعذني أن هولاكو سوف يعاد إلى المدرب لتعريفه بمهمات وتقويم سلوكه نحوي ، ومن جانبي وجدت الطريق مهيأة لطرد الكلب من البيت ، وأرجأت إعلان هذا القرار . لكن الكلب عاد من عند المدرب للاحظ تحسناً ملموساً في سلوكه نحوي ، ونزولا على رغبة عائدة بدأت أتلقى منها دروساً صغيرة في اللغة الفرنسية تمكنني من كسب وده ، واستطعت أن أحفظ بالفرنسية : كيف حالك يا هولاكو - كم أنت جيل يا مونشير - خذ هذه القطعة من الشيكولاته .. يا شيري .

وقد أسفرت هذه الدروس عن صداقة بيني وبين هولاكو ، صحيح أنها ليست حميمة ، ولكن لا بأس بها ، فمع رياضة المشي التي كنت أمارسها يومياً مثلاً ، كنت ألح هولاكو يودعني حتى ناصية الشارع ،

وأعود لأجده منتظراً في نفس المكان .
و ذات ليلة تأخرت في العودة حتى التاسعة فرأيت هولاًكو لا يزال
واقفاً في انتظارى ، فقدرت له هذه المودة ، ورويت لعائدة - بفرح -
هذه المشاعر الطيبة من جانب هولاًكو ، فقالت لى : غداً ستعرف كم
هو محب ووفى ، ثم أردفت تسأل : أين كنت حتى هذه الساعة ؟
قلت لها : أمشى . لقد بذلت اليوم جهداً لأمشى أربع ساعات ،
وغداً أنوى أن أضرب الرقم القياسى فأمشى من الخامسة حتى
العاشرة .

فى اليوم التالى حدثت نورما بالتليفون وقلت لها : اليوم سوف يدوم
لقاؤنا خمس ساعات بمناسبة عيد ميلادك . . كل سنة وأنت طيبة . . إن
الدينا لا تسعنى لأننى انتقلت إلى المعادى لأكون بجوارك ومعك كل
يوم . . وفى رياضة المشى سبع فوائد .
وضحكنا !



أطفأت نورما شموع عيد الميلاد ثم اتجهت إلى الباب لتستطلع
الطارق ، وما إن فتحت حتى دخل هولاًكو ومعه عائدة .
طوال هذه الشهور وهو يتدرب على اقتفاء أثرى حتى قاد زوجته إلى
ما كانت تسعى إليه .





حبس المشاهدون أنفسهم في قاعة السينما وهم يتابعون البطل والبطلة في موقف وداع قهرى ومؤثر ، وبينما انحدرت الدموع على حدود البطلة وهى تتجه نحو الباب الخارجى ، اعتدلت زوجتى هدى في مقعدها وهى تشهق : غير معقول !!

ولم يكن المشهد العاطفى على الشاشة هو الذى بهرها ، بل كان سبب انبهارها كرسى ستيل مرت به بطلة الفيلم وهى فى طريقها إلى الباب ، ولأن هدى علمتني كيف أستمتع بالكراسى الستيل ، فقد وجدت نفسى أشاركها الإعجاب بذلك الكرسى الذى اتسم بدقة الزخارف والنقوش المحفورة والبارزة .

إن هدى مولعة إلى حد الجنون باقتناء الكراسى ، وعندما وضعت شقيقتها الصغرى مولودها تمت هدى لوأن أختها سمت المولود « كرسى » فإن بيتنا ملئ بالكراسى من كل عصر ابتداء من الطراز القوطى إلى لوى كتورز إلى ستىوارت ستايل إلى كوين آن .

إن « هول » الفيلا كله كراسى ، وفى الصالونات كراسى ، وفى القاعة العلوية كراسى ، وفى الممرات كراسى ، وعلى السلم الداخلى كراسى . ورغم أن هدى خبيرة بكل طراز الكراسى فإن هذا الكرسى الذى مرت به بطلة الفيلم كان جديداً تماماً على عيونها .

وبينما كان الجالسون من حولنا مندمجين فى مأساة البطل والبطلة ، حدثتني هدى عن اعتقادها بأن هذا الكرسى يعود إلى عصر « الرينسانس » وأن الطابع الفلورنسى يغلب عليه .

وارتفع صوت رجل قليل الذوق من خلفنا يطلب الصمت والهدوء
لمتابعة الفيلم وتبعه آخرون يعلنون تدميرهم ، واستمرت هدى تحكى
عن وجوب مشاهدة هذا الكرسي في الفيلم مرة أخرى على أن يكون
معنا خبير الديكور والتحف برهان ، ولما بدا واضحاً أن الجالسين من
حولنا جاهلون تماماً بأمر الكرسي الستيل والاستمتاع بها ، فقد أثرنا
الانصراف عائدين إلى البيت .

والحق أن الإقامة في بيتنا متعة رائعة لا يحسها أصدقاؤنا ، لهذا
فنحن لا ندعو هؤلاء الأصدقاء إلى البيت ونؤثر أن تكون دعواتنا
ومآدبنا لهم في النادي ، ذلك أن الحرص على ثروتنا الكرسية يملئ علينا
ذلك .

ففى آخر مرة دعونا فيها أصدقاء إلى البيت - وكانت منذ سنوات -
حدثت أمور مؤسفة ، إذ كاد أحد أصدقائنا أن يسكب القهوة على
المقعد الوثير في الصالون الكبير الذى يضم طقماً تاريخياً كان يمتلكه الأمير
الألماني كونراد الرابع من أسرة هوهنشتوفن ، وفى نفس تلك الليلة
جلست صديقة بدينة على كرسي نادر من طراز شارل الثانى فسمعنا
الكرسي يصدر أنيناً وتكتكة ، ونقلناه إثر ذلك الحادث المؤسف إلى
ورشة الدكتور برهان لترميمه .

من هنا آلينا على أنفسنا أن نحافظ على هذه الثروة التاريخية التى
اقتنتها زوجتى من الدكتور برهان ، وهو رجل من أعظم الملمين بتاريخ
الأثاث والخبرة الواسعة بالتحف . بل إن هدى زوجتى - حرصاً منها
على هذه الثروة التاريخية - لا تسمح لى أن أجلس على أى كرسي أو كنية
فى البيت ، بل ولا أنا أسمح لنفسى بذلك ، وأعطيها حق تنبيهى
عندما أسهو أجلس على كرسي ، والكرسي الوحيد المسموح لى
بالجلوس عليه هو كرسي من القטיפه بالطابق العلوى ليست له قيمة
جمالية أو تاريخية ، وعندما نزلت شقيقة زوجتى ضيفة علينا لعدة أيام
تنازلت لها - بناء على رغبة زوجتى - عن هذا الكرسي القטיפه المخصص
لى ، وقضيت تلك الأيام واقفاً على أقدامى فى البيت قبل النوم وبعده .



عندما عدنا من السينما ، أسرعت هدى تحدث الدكتور برهان عن الكرسي الذي شاهدته في الفيلم ، ثم تطرق الحديث إلى مدام دولت . ولقد بدأت الحرب بين مدام دولت وبين زوجتي عندما عرضت هدى عليها أن تشتري منها كرسيّاً أثرياً كانت قد ابتاعته من الدكتور برهان ، وهو كرسي انتشر في القرن السادس عشر وعرف باسم « كاكيتوار » أو كرسي النميمة ، حيث كانت نساء المجتمع الفرنسي يجلسن في مثل هذا الكرسي للنم ومسك سيرة الصديقات الغائبات ، غير أن مدام دولت رفضت بيع كرسي النميمة بأى ثمن . وقد غاظ زوجتي كثيراً أن مدام دولت كانت تجلس في هذا الكرسي وتتناولها بالنميمة ، فزعمت أن هدى لا تفهم في الديكور أو التحف أو الكراسي ، وروت أن زوجتي دخلت مسرحية الكراسي ليوجين إيونسكو وهي تعتقد أنها ستشاهد صالة مزادات ، ثم اتضح أنها مسرحية عبثية لا علاقة لها بلوى كانز أو لوى سيز ، وقالت مدام دولت إن هدى اتصلت تليفونياً ذات يوم بالفنان الراحل يوسف وهبى لتسأله عن طراز الكرسي الذي يظهر في مسرحية كرسي الاعتراف ، وقالت مدام دولت إن زوجتي طالبتني بضرورة القيام برحلة إلى الولايات المتحدة لتشاهد الكرسي الكهربائي .

وازداد الأمر بين الاثنين سوءاً عندما اشتدت حدة المنافسة بينهما في أحد المزادات على كرسي من الطراز الديركتواري الذي ظهر بعد الثورة الفرنسية ، وعندما رسا المزاد على مدام دولت عاتبتني زوجتي وهي تبكي بحرقة ، فلو كنت قد بعث فدانين من أرضي لتيسرت لها السيولة النقدية لكى تنافس دولت ، ولكنني بخيل عليها ومقتر ، ولم أبع من الأفدنة السبعة الباقية غير فدان واحد استعداداً لذلك المزاد .

غير أن الدكتور برهان استطاع أن يهدىء من جموح انفعالها فقد قلل من شأن هذا الكرسي الديركتواري وأكد لها أنه شخصياً يرفض أن يدفع في ذلك الكرسي درهماً واحداً ، ثم أسعدها كثيراً عندما قال إنه يعد لها مفاجأة سعيدة سوف تموت معها مدام دولت غيظاً وكمداً .



فى ذلك الحديث التليفونى بين هدى والدكتور برهان ، قال لها إن المفاجأة جاهزة ، ولكنه رفض أن يكشف عنها . . فالحديث عن هذه المفاجأة يحتاج إلى جلسة هادئة تزن فيها الأمور ، لأن المفاجأة تقتضى الكثير من الحيلة والحذر .

واتفقنا على اللقاء فى النادى حيث تتوافر المقاعد التى يمكننا الجلوس عليها بعكس بيتنا المليء بالكراسى . وفى النادى بدأ الدكتور برهان حديثه عن سرير لويس الرابع عشر ، وكيف أن هذا الملك - الذى يحمل السرير اسمه - كان يبدأ يومه بحفل يتجمع فيه الأمراء وكبار رجال البلاط للقيام بمراسم حفل استيقاظ الملك ، فيقوم أمير بإزاحة ستار السرير ، وآخر يحمل له الرداء الملكى ، وثالث يمسك بالخف الذى سيضعه فى قدميه ورابع يتقدم . .

هنا قاطعته هدى فى صبر نافذ : مفهوم مفهوم . . ماذا عن المفاجأة ؟

ولكن الدكتور برهان استمر فى حديثه عن سرير لوى كاتورز ، وكيف أن هذا السرير قطعة من التاريخ ، إذ كان الملك يباشر سلطاته من هذا السرير فى الساعات الأولى من اليوم . . وقاطعته هدى : طبعاً . . ولكن ما المفاجأة ؟

وواصل الدكتور برهان : وأجمل أن يقتنى الإنسان تحفة تحمل عطر التاريخ . . أنت يا سيدتى جربت هذا الإحساس عندما بعثك صالون الأمير كونراد هوهنشتوفن وكرسى مكتب سير مارشال هول ، وكرسى الكونتيسة كورشيى الذى صنع خصيصاً لتجلس عليه وتدلل كلبها الشيهواهو !

وقالت هدى : أعرف ذلك كله يا دكتور . . لكن خبرنى . . كرسى من الذى تريد أن تفاجئنى به ؟ قال الدكتور برهان : كلا . . إنه ليس كرسياً هذه المرة . . إنه شىء خطير . . هيا بنا .

صحبنا الدكتور برهان إلى معرض الأثاث الذى يمتلكه ، وأضاء الأنوار ، ثم قادنا عبر عمر طويل إلى صالة خاصة يحتفظ فيها بالتحف الثمينة ، وأشار لهدى قائلاً : انظرى وتأملى . . هذا هو السرير الخاص

بالأمباطورة أوجيني !

كان السرير قائماً في منتصف الصالة وعليه أغطيته التاريخية وقد تدلت من أعلاه خيمة من التوال . كان قطعة من الفن الرفيع وقفت أمامها زوجتي مأخوذة تماماً ، بينما مضى برهان يقول : هنا كانت تنام أوجيني زوجة الأمباطور نابليون الثالث ، لكأن عطرها لا يزال عالقا بقوائم السرير . حقاً ! ما أجل أن يرى الإنسان التاريخ !

بحركة لا شعورية اقتربت هدى من أحد قوائم السرير تستنشق رائحة العطر ثم راحت تدور حول السرير كالمنسحورة وأناملها تتحسس أغطيته في إجلال وخشوع ، وانتحى بى الدكتور برهان وقص لى تفاصيل مثيرة . . كيف خرج هذا السرير من باريس إلى لوكسمبورج ثم استقر هنا .

كان الرجل شريفاً وصادقاً فقال لى بصراحة إن الانتربول - أو الشرطة الدولية - تبذل جهداً غير عادى للعثور على هذا السرير الذى اختفى من قصر فرساي فى ظروف غامضة ، ولولا ثقته بنا كأصدقاء حميمين محبين للتحف الرفيعة النادرة لما غامر بكشف هذا السر الذى ينبغى أن نحرص عليه فيما لو اشترينا السرير .

وبعد مفاوضات وتعهدات استطعنا الحصول على هذا الكنز التاريخى ، وللمزيد من الاحتياط والسرية تم نقل السرير فى جنح الليل ليحتل غرفة النوم فى الدور العلوى . لقد أصبح هذا الأثر التاريخى العظيم ملكنا ، وتلك متعة تطفى على كل ما ضحينا به من مال ، وأعترف أنها كانت وجهة نظر صائبة وسديدة من جانب هدى عندما قالت إن السرير قد صمم خصيصاً للأمباطورة أوجيني وأن من المستحسن أن أنام على الأرض لئلا ينوء السرير بثقل جسمى فيتعرض للتلف .

ونمت على الأرض .

ونامت هدى فى سرير الأمباطورة .

لم تمر سوى أيام قليلة حتى غلب على هدى الزهو وحب التفاخر ، فبدأت تهمس إلى المقربات من صديقاتها إنها اشترت سرير الأمباطورة

أوجيني . ويبدو أن السر تجاوز الصديقات المقربات وبدأ يشيع ، الأمر الذى أزعجنى كثيراً ، إذ أصبحت أسير فى الطريق وأنا أتلفت حولى خشية أن أكون هدفاً لمراقبة رجال الأنتربول - الشرطة الدولية - ثم أيقنت أننى مراقب بالفعل عندما تعقبته سيارة ذات ليلة وأنا فى طريقى إلى معرض الدكتور برهان لكى أطلب إليه فسخ العقد واستعادة هذا السرير الذى سيلقى بى فى ظلمات السجون ، وعندما اختفت السيارة التى كانت فى إثرى أسرع بالوقوف فى شارع جانبى صغير . . وترجلت قاصداً معرض الدكتور برهان وعندما بلغت الصالة الجانبية فى نهاية الممر ، شعرت بالطمأنينة وراحة النفس ، فقد لمحت الدكتور فى الداخل يشير قائلاً لأحد عملائه : هذا هو ياسيدى سرير الأباطورة أوجيني !

وتبين أن نصف أصدقائنا يحتفظون بالسر ، وأن كلا منهم اشترى من برهان السرير الأوحى للأباطورة أوجيني !





أصابني صداع عابر فقالت زوجتي فاطمة : يجب أن تقلع عن التدخين ، ورأيتني أتألم من ضيق الحذاء الجديد فقالت لي : يجب أن تقلع عن التدخين ، وتراجعت بالسيارة إلى الورا وانكسر المصباح الخلفي ، فصاحت : متى تقلع عن التدخين ونستريح من هذه المصائب ، وزلت قدمي فوق الدرج وسقطت متألماً فردت فاطمة كلماتها الماثورة في وجوب الإقلاع عن التدخين ، بل إن التدخين تسبب في مشاكل أخرى متنوعة ، فمثلاً كلما انقطع التيار الكهربائي فجأة سألتني فاطمة مع عصبية الحالة النفسية التي تعقب الاظلام المفاجيء : متى ستقلع عن التدخين ؟

ومن المفيد أن أقول إنني لا أناقش فاطمة أبداً ، فمنذ زمن طويل آثرت أن يكون الحوار بيننا من طرف واحد بعد أن ثبت أنها دائماً على حق ، ومن هنا فإنني أعتنق رأيها توفيراً لأي مجهود ذهني أبذله بحثاً عن رأي صائب ، فالآراء الصائبة نادرة ، وهي عند فاطمة كثيرة جداً ، وجاهزة جداً .

لقد ثبت أن التدخين ضار ، فلماذا لا يكون التدخين ضاراً بفانوس السيارة الخلفي ؟ ولماذا لا يكون التدخين هو الذي يصيب الأحذية بالضيق ، وهو الذي يتسبب في انقطاع التيار ؟

انني فكرت كثيراً في الإقلاع عن التدخين حتى أتجنب الكثير من المتاعب خصوصاً بعد أن زاد انقطاع التيار ، لكنني لم أوفق في أية محاولة بذلتها ، وعندما وقفت لي فاطمة بعنف وصلابة وأصرت على أن أكف

عن التدخين ، استسلمت وأصبحت أدخن سراً ، ولأن زوجتي ألغت ميزانية التدخين التي تمثل كل مصروفي ، ولأن مواردى المالية معروفة لفاطمة بالمليم وكلها تحت يدها ، فقد كنت مضطراً أن أسرق من سجائرها ، فهي تدخن أربع علب فى اليوم . ولولا أن ابنى سامح بدا مذهولاً من قوة ارادتي فى الإقلاع عن التدخين ، لكنت قد اعتمدت عليه فى شراء ما يلزمنى من سجائر ، فإن صداقة وطيدة تربط بينى وبين ولدى الوحيد ، وهو الوحيد أيضاً الذى يستمع إلى باهتمام عندما أتحدث عن بطولاتى الرياضية فى شبابى ، ويستعيدنى أحياناً بعض ما أقول إعجاباً بى ، وهذا يدهش فاطمة كثيراً ، لكنها لا تفصح عن دهشتها أمام ولدنا ، فهي ترى فى الانصات إلى كلامى مضیعة للوقت ، لكنها لا تنكر - كما تردد كثيراً - أن أحاديثى لها ميزة مذهشة وهى أنها تعجل بانصراف الضيوف الثقلاء .

على أية حال أنا أجد فى ولدى سامح كل عزائى ، والإعجاب متبادل بينى وبينه ، فكما تستهويه أحاديثى وبطولاتى ، يبهرنى أسلوبه الرجولى فى معاملة سلوى زوجته ، فهو يخضعها لشخصيته القوية دون إرغام ، وهى تتدله فى حبه ، وهى ترفض - فى ضعف الأنثى الجميل - دون أن تعلو كلمتها ، وهو يمارس دور السيد الحقيقى دون أن يؤلمها بلفظة قاسية أو يخذش إحساسها بتصرف أحمق . إن سامح لديه القدرة لكى يجعلها تغير العطر الذى تحبه إلى العطر الذى يفضل به ثم تعترف له بعد ذلك أنه كان على حق ، وهو قادر مثلاً على أن يختار سجادة جديدة غير التى اختارتها لتسأله هى بعد ذلك : كيف فاتنى وقتها أن هذه السجادة أجمل كثيراً ؟
إنه السيد دائماً .

إنه أنا ، كما كنت أتمنى أن أكون ، لكننى فى كل الأحوال أحمد الله على نعمة السلام الزوجى الذى أعيش فيه بفضل ثلاث كلمات لا غيرها أبداً : كما تشائين يا فاطمة .

غير أن فاطمة ليست بالإنسان المزعج المتسلط طول الوقت ، فإن لها ساعات تصبح خلالها شديدة الوداعة وهى ساعات نومها .

ذات أمسية لاقتنى فاطمة بوجه مكتئب وهى تقول : سأموت من الحزن يا فريد .

قلت لها : كما تشائين يا فاطمة .
غير أننى تنبعت وسارعت بالاعتذار والاسترضاء ، وكشفت لى فاطمة عن سر حزنها فقالت : تصور ، رضوان الخادم الأمين يتبين أنه لص وأنه يسرق من علب سجائرى المفتوحة ما يقرب من عشرين سيجارة يومياً ؟!

ابتلعت ريقى بحركة غير إرادية واجتهدت فى أن أبدو شديد الدهشة لهذا الخبر الصاعق ، ووجدت نفسى أقول فى استنكار :
النذل !

هزت رأسها فى أسف : وأى نذل ! لقد اعتدنا أن نخرج ونترك له كل ما فى البيت ثقة فى أمانته . إن من يسرق الرخيص يسرق الثمين ، فالأمانة لا تتجزأ .

ثم سألتنى فاطمة قراراً فى أمره ، ففوضت لها الأمر فى أمره ، وانتهى رأيها الأخير بأن تضبطه متلبساً . وقد أسعدنى هذا القرار كثيراً ، فقد أسرعت بالتنبيه على رضوان ألا يسرق لى شيئاً من سجائر المدام . كان يتحتم على أن أتدبر مصدراً جديداً لمواصلة التدخين ، ولم يكن هناك - بعد تفكير طال - غير إبنى سامح . وما إن جلست معه فى بيته حتى بدأ يمتدح إصرارى على مواصلة الكفاح ضد التدخين ، وراح يكرر إعجابه بقوة إرادتى الباهرة التى لم يستطع أن يجارىنى فيها ، وكان طبيعياً أن أحجم عن مفاتحته فيما جئت من أجله .

وبينما كان أبنى يشيد بإرادتى الحديدية قالت سلوى : لابد أن تقلع عن التدخين يا سامح .

نظر إليها سامح لبرهة ثم قال : هذا شأنى أنا يا حبيبتى .
كم كان ولدى رائعاً وقوياً وهو يصوغ عبارته لسلوى ، يمتزج فيها الحزم باللطف والرقّة ، فبدا عليها ارتباك غطته بابتسامة وهى تبعد قائلة : سأعد لكما القهوة .

وجدت نفسى أقول لسامح : حماك الله يا ولدى . ربما لم يدرك هو

لماذا صدر عني هذا الدعاء ، ولكنني كنت أتطلع إليه لحظتها بانبهار عظيم .

فنحن لا ننهر إلا بالعمل الذي نعجز عن إتيانه ، أو بالشخص الذي لا نستطيع أن نكون في قدرته .



في ذلك الصباح المبكر كنت أجلس في الشرفة وقد بدأت أتماثل للشفاء من وعكة النفس والمزاج ، إذ كنت أمر باليوم الثامن عشر دون سيجارة ، فقد كنت قد عقدت العزم على أن أقهر النفس ، وأن تكون إرادتي عند حسن ظن ابني ، وما لبثت فاطمة أن أقبلت نحوي بوجه ودود أكثر مما ينبغي ، ثم ألفت بتحية الصباح وهي تبسم . غريبة . وفوجئت بها تهنئني بعيد مولدي الخامس والخمسين . عندئذ أدركت السبب في ودها وشذوذ مسلكها .

في ذلك اليوم كشفت لي فاطمة عن ميزة جديدة من مزايا الاقلاع عن التدخين ، إذ اقتصدت ما كانت تخصصه لي ثمناً للسجائر ، وابتاعت به هدية عيد ميلادي .

طلبت فاطمة أن أغمض عيني لتفاجئني بالهدية ، وفتحت عيني فوجدت يدها تمتد نحوي وهي تقول :

- ما رأيك في هذا الخاتم .. جميل في يدي ؟

- جميل جداً مبروك عليكى يا فاطمة .

وخلعت زوجتي الخاتم الذي ابتاعته لنفسها هدية في عيد ميلادي لتريني اسمي منقوشاً على اطاره الداخلى ، ثم ابتسمت قائلة : رأييت كم أعترز باسمك يا فريد .

- أشكرك يا فاطمة هديتك جميلة حقاً .

في المساء أقام لي سامح وسلوى حفلاً لطيفاً أطفأت فيه شموع عيد الميلاد ، وأهداني ولدى أزرار قمصان ذهبية ، وأهدتني سلوى دعوات من القلب بأن يطيل الله في عمري ، وراحت تشيد بشخصي إلى درجة أخرجتني . لقد قضينا وقتاً سعيداً ، لكن ختام الليلة لم يكن كذلك ،

فبعد أن عدنا إلى البيت لامتنى فاطمة بشدة لأننى ضيعت أزرار القمصان الذهبية .

- ربما نسيناهم هناك يا فاطمة ؟!
- قلت لك إننى وضعت علبة الأزرار بنفسى داخل جيب سترتك .
- بينما أنا أعيد تفتيش سترى للمرة العشرين قالت فاطمة : على العموم لا تخبر سامح أو سلوى بأنك ضيعت هديتهما وانس الموضوع تماماً .
- كما تشائين يا فاطمة .

مرت فترة غير قصيرة على حفل عيد ميلادى عندما خيل إلى أننى عثرت على أزرار القمصان ، فسألت فاطمة : أليست هذه أزرار القمصان الضائعة ؟

مصممت فاطمة شفتيها أسفاً على غباوقى ثم قالت وهى تشير إلى أذنيها :

- هذا قرط يا رجل .. أنظر .. هل كان كل زر تتوسطه حبة لؤلؤ مثل هذا القرط ؟
- كلا .

- إذن فهذا قرط وليس أزرارك التى ضيعتها .
- فعلاً .



فى عيد ميلادى السادس والخمسين حدثت مفاجأة جديدة تماماً فإن جمعية الترابط الأسرى التى تشترك زوجة ابنى فى عضويتها قررت اعطائى لقب الزوج المثالى . ووقفت سلوى تعدد مناقبى كزوج عظيم وقدوة رائعة لكل الأزواج ، ثم كيف تأثر زوجها - ابنى - بوالده ، فبدأ - أول ما بدأ - بالاقلاع عن التدخين ، ثم تمرس بالفن الذى برع فيه الأب وهو فن معاملة الزوجة .

ودوت القاعة بتصفيق متواصل وأنا أشق طريقى لأتسلم شهادة الزوج المثالى .

بعد الحفل انتحيت بابني أسأله : ماذا جرى ؟ وهمس ابني في أذني
بأنه طول عمره معجب بسياستي مع والدته كزوج هاديء الطباع ، وقد
حاول كثيراً أن يكون مثلي حتى نجحت محاولاته وشرح لي كيف أصبح
يدخن في الخفاء حتى لا يغضب سلوى !



طافت هذه القصة من بدايتها بخاطري وأنا أزور سامح في عنبر
كسور العظام بعد خلاف بسيط مع سلوى .



الرجل الآخر

عندما يلمحنى الأستاذ أبو العلا داخلاً من باب النادى يدرك على الفور أننى فى مشكلة مع قدرية ، وأننى جئت طلباً لمشورته . فهو رجل تجاوز الخامسة والستين ، اعتدت أن أودعه أدق أسرارى وألتمس منه رأى المجرب وحكمته ، فقد تزوج الرجل ست مرات ، وطلق سبع مرات ، لأنه - بطريق الخطأ - أنهى مشادة مع جارته قائلاً : أنت طالق .

ومشاكلى مع قدرية لا تنتهى ، فبعد أحد عشر عاماً من ليلة الزفاف لاتزال زوجتى تريد منى أن أحبها حباً سينمائياً ، وأن أقوم بدور الفتى الأول الذى يتقن حرفة العشاق ، فهى ذات نزعات رومانسية بعيدة عن واقع الحياة ، وهى - مثلاً - ما إن تشاهد فيلماً عاطفياً فى سهرة التليفزيون حتى تندمج فى أجوائه ، فتمسك بيدي ثم تعتدل فى جلستها لتكون فى مواجهتى ، ويصبح من واجبى فى هذه الحالة أن أفعل مثلاً تفعل ، فأسبل العينين ، وأظهر لوعة الحب على قسماى وجهى ، وأهمس إليها فى نبرة توجع والتياع : أحبك .

وإذا أنا لم أقم بكل هذه الطقوس ، فهذا معناه أننى لم أعد أحبها ، وأن امرأة أخرى تعبر حياى ، ويترتب على ذلك أن تقاطعنى قدرية ، وتنغص على عيشتى ، فلا تهىء لى طعاماً ، ولا تعد لى ملبساً ، ولا تحيك لى زراً مقطوعاً ، ولا تصالحنى إلا إذا تركت لها رسالة عاطفية ملتهبة ، أكتبها فى مكتبى نقلاً عن كتاب : دليل المشتاق فى وصل العشاق .

وعندما ذهبت إلى الأستاذ أبو العلا أشكو أن قدرية قد دخلت مرحلة جديدة هي الغيرة من عملي الذي يأخذني منها قال لي الأستاذ أبو العلا : إن هذا شيء طبيعي لأن المرأة تريد رجلاً لا عمل له إلا الحب ، وكلما كان الرجل عاطلاً ومتفرغاً لها كل الوقت ازدادت بهجة وسعادة ، ولهذا نلاحظ أن كل أبطال قصص الحب الخالدة عاطلون بلا عمل : مجنون ليلي وكثير عزة وجميل بثينة ، ولا بد أن روميو أيضاً كان عاطلاً ، فلا يعقل أن يظل معلقاً في شرفة جوليت حتى طلوع الصبح ثم يستطيع بعد ذلك الذهاب إلى عمله ، وحتى كليوباترا لم يزدهر حبها لأنطونيو ويتوهج إلا بعد أن أصبح مارشالا في المعاش . ولطالما نصحني الأستاذ أبو العلا بأن أفطم قدرية عن نزعاتها الرومانسية ، لكنني لم أجد الجرأة على تنفيذ نصائحه ، وأخيراً قررت أن أغامر ، وأن أنفذ الخطوة الأولى التي اقترحها الأستاذ أبو العلا ، فأصبحت أقول لها عبارة عاطفية واحدة لا تتغير إذا همست لي : أحبك قلت لها أحبك يا عمري ، وإذا قالت لي ما رأيك في تسريحتي قلت أحبك يا عمري وإذا استطلعت رأيي في فستان جديد قلت أحبك يا عمري ، وإذا أخبرتنني أن والدتي اتصلت تليفونياً قلت أحبك يا عمري ، كذلك سبلت لها العينين وهمست أحبك يا عمري عندما أبلغتني أن الولد عنده إسهال .

ثم بدت معالم عدم ارتياح لتكرار عبارة أحبك يا عمري ، فبدأت تسألني لماذا لا أقول جديداً ، فكنيت أضع يدها على يدي وأرفعها إلى شفتي مغمض العينين هرباً من الجواب ، فلما راحت تضيق على الخناق وهي تتساءل في توتر : لماذا لا أغير عبارة أحبك يا عمري ، رفعت يدها إلى فمي وأغمض عيني إغماضة العاشق الوهان . لكنها كررت سؤالها مرتين ، ففكرت طويلاً ثم قلت لها لأنني أحبك يا عمري ، وهنا سحبت يدها من بين يدي في عنف ، وانفجرت في وجهي تنعى حظها الأسود وهي تتمنى على الله أن تستأصل أذنيها حتى لا تسمع هذه العبارة البغيضة التي أجهزت على أعصابها ، وقد التزمت الصمت تاركاً العنان لثورتها الشديدة حتى ارتقت على فراشها باكية فتقدمت منها

لأربت على ظهرها قائلاً : اهدئي .. أحبك يا عمري .
هنا لم تحتمل قدرية فانتفضت وهي تطلق « صويتاً » عالياً ظن معه
الجيران أنني انتقلت إلى رحمة الله ، ثم راحت تجمع حوائجها وهي
تقسم أنها لن تعيش تحت سقف واحد مع رجل شرير يقود حملة
لتخريب أعصابها بعبارة أحبك يا عمري .

وكان لجوء قدرية إلى بيت أسرتها إيذاناً بالخطوة التالية التي أشار بها
الأستاذ أبو العلا وهي أن أخرج بقضيتي مع قدرية إلى الرأي العام
العائلي ، فأشكو إلى أسرتها .

وضربت أمها كفاً بكف وهي توجعها بكلمات قاسية ، ورمائها
أخوها بالجنون لأنها ترفض كلمة الحب من زوجها ، ورجاني خالها
- وهو كبير الأسرة - أن أكون كريم الأخلاق كما عهدني ، وأن أعفو
عنها ، وإظهاراً لكرم أخلاقي تعهدت للأسرة - أمام قدرية - أنني لن
أقول لها أبداً أحبك أو أى كلمة حب مادام كلام الحب يغضبها .

وعادت قدرية إلى البيت وأنا أخفى بصعوبة غبطتي الشديدة
بخلاصي من تسبيل العيون وممارسة لوعة الحب والتنهدات ، وأصبحت
قدرية تحدثني بكلمات معدودة وفق ما تقتضي الضرورة ، لكنها لم
تستطع أن تقاطعني أو تهمل لي مطلباً ، ثم شيئاً فشيئاً بدأ الحنين
يعاودها إلى الرومانسية ، لكنني كنت حريصاً على تجاهل أية إيماءة من
جانبها ، مثل تلك الليلة التي تصادف فيها وجودنا أمام التليفزيون ،
ووقفت بطلّة الفيلم تقول لصديقتها في تنهيدة محترقة : إن المرأة في
حاجة إلى كتف رجل تضع رأسها عليه ، فنهضت من مقعدي وأنا
أسأل قدرية أين وضعت أنبوبة دواء الأنتي روماتيك لأن كتفي عاودتها
آلام الروماتيزم ، وبذلك أبلغتها بلباقة أن كتفي في حالة عطل فني
ولا تصلح لوضع رأسها عليها .



بينما كنت أهم بوضع المفتاح في باب الشقة ترامي إلى سمعي صوت
قدرية تتحدث إلى صديقتها بنبرة أسف : كل الرجال على هذه الشاكلة
يا سهير .. إنني أجد فيه صورة أخرى من رفعت زوجي ، يرتفع بك

إلى ما فوق السحاب ثم يلقي بك من حالق . .
وانخفض صوت قدرية ولم أعد أسمع شيئاً ، ووقفت أسائل
نفسى : عمن تتحدث زوجتى ؟ هل وقعت فى حب رجل آخر ؟؟
هذا مؤكد .

بدلاً من أن أفتح باب الشقة عدت أدراجى واتجهت رأساً إلى
الأستاذ أبو العلا . حكيت له ما سمعت وأسررت إليه بهواجسى فهز
رأسه أسفاً قبل أن يقول : الأرجح أن قدرية قد وقعت فى حب رجل
آخر بعد أن حرمتها من الغذاء الرومانسى ، وما من امرأة يا ولدى
تستطيع أن تحيا بغير حب ، فهى إن لم تكن فى حب قائم فإنها فى انتظار
حب جديد ، وإلى أن يأتى الحب الجديد فهى تجتر - فى ساعات
وحدتها - حباً قديماً وتستدق بذكره .

قلت مستنكراً : قدرية تحب غيرى ؟؟

قال فى هدوء : لا تندفع . لقد علمتنى التجربة أن الحكم الصحيح
فى مثل هذا الأمر يحتاج إلى يقين مكتمل ، فإن أنت فاتحتها الآن وكان
ظنك وهماً ، أوجدت صدعاً لن يلتئم مدى العمر . فإذا اكتشفت أنها
تعشق آخر هان الأمر بقدر ما تدرى حينئذ كم هى رخيصة .
اسمع . . لقد كنت أشك فى واحدة من زوجاتى ، فلما تأكدت من
ضالّة شأنها عندى ، بل وشعرت أنها أسدت لى جيلاً عندما هربت مع
موظف من مكتبى طالما تمنيت أن أفصله لإهماله ، هذا بالإضافة إلى أن
هربها معه قد أعفانى من دفع مكافأة خدمته وتأميناته الاجتماعية .



روضت نفسى على الهدوء بصعوبة بالغة . لقد رجت أراقب زوجتى
وأتصنت عليها والغيرة تنهش قلبى . كانت قدرية تتحدث مع صديقتها
الأثيرة سهير فى التليفون عن شخص بذاته ، وكانت تلغنه كثيراً لأنه
مراوغ ولعوب وخائن كمعظم الرجال !

ومضت الأيام بطيئة ومضنية أكاد أشم فيها رائحة أعصابى وهى
تحترق . كانت قدرية تحاول التقرب منى لتغطى موقفها ، وكانت تبكى
زعماً منها اننى لم أعد أحبها ، بينما كانت دموعها تجرى بسبب حبيب

القلب اللعوب المراوغ الخائن لمعظم الرجال .
وأخيراً سمعتها تنطق باسم هذا الرجل وهى تحدث سهير قائلة :
عزالدين عابد طلق زوجته أمس . . كيف لم تعرفى ؟ ثم أضافت بنبرة
فخر : ألم أقل لك إنه سوف يطلق زوجته ؟
كنت أسترق السمع من غرفة النوم بصعوبة ، فقد خفض صوت
قدرية ولم أعد أتبين جملة مفيدة ، وإنما كنت أسمعها تضحك مع سهير
فى بهجة واضحة بعد أن طلق عزالدين عابد زوجته .
قال لى الأستاذ أبو العلا : إن الوصول إلى اسم الرجل الخفى إنجاز
عظيم ، وما علينا الآن إلا أن نعرف من يكون عزالدين عابد وماذا
يعمل ؟
كيف ؟

من دليل التليفون . فإذا توصلت إلى عنوانه وتأكدت أنه هو بعينه
حبيبها ، فاذهب إليه وأشكره لأنه أعطاك الفرصة الذهبية لكى
تتخلص من غلطة حياتك وأعرض عليه أن تتركها له .
وسوف يتولى هو نقل لقائك معه إليها ، وكيف عرضت عليه أن
تتركها له . أى مذلة سوف تشعر بها قدرية وأى هوان ؟!
فكرت كثيراً فى كلمات الأستاذ أبو العلا ولم أستطع أن أصل إلى
قرار . وبينما كنت أغادر النادي ترمى إلى سمعى اسم عزالدين عابد
يتردد فى مائدة ، فالتفت خلفى لأجد رجلين يتضحكان دون أن ينظرا
نحوى . إذن فالناس تعرف فضيحتى ، وأنا آخر من يعلم حقاً !
غلى الدم فى عروقى ، وراودتنى فكرة قتل قدرية انتقاماً لعرضى .
تناولت قرصاً آخر مهدئاً من تلك الأقراص التى أعطاه لى أبو العلا ،
ولما بلغت بيتى كنت هادئاً بعض الشيء ، وبكت قدرية كثيراً وهى
تساءل ما الذى جرى لى . ولماذا أنظر إليها فى وجوم على الدوام ؟
يا لقدرة النساء على الكيد والتمثيل !

★ ★ ★

اكتشفت أن فى الدليل اسمين متشابهين : عزالدين أحمد عابد
وعزالدين عابد المليجى ، الأول الجرس فى بيته يدق ولا يجيب وتبين

أنه هاجر ، والثاني رد خادم وقال إن عزالدين بك في المكتب ، وعرفت أن عزالدين عابد المليجي مليونير من رجال الأعمال ، وأنه شاب في الأربعينات ومفتون بنفسه .

اتصلت بالمكتب وحددت لي السكرتيرة موعد عمل . لافتة المكتب تحمل اسم « عزالدين المليجي » استقبلني مرحباً ، ورأيت ألا أضيع الوقت فقلت له : أنت تعرف لماذا جئت .

نظر إلى باسم دون أن يعلق فمضيت أقول : أنا مستعد أن أتركها لك .

قال : هذه بداية طيبة .. كم تريد ؟ لا أدري ماذا جرى لي ، فقد انتفضت واقفاً ورحت أقذف الرجل بكل ما تصل إليه يداي : ساعة المكتب ، والأجندة ، والتمثال البرونزي ، والولاعة .

أحاط بي بعض رجال مكتبه وضربوني ضرباً مؤلماً ، وتغطية لموقفه زعم عزالدين عابد لمن قص عليهم الرواية أنه كان يتحدث عن المناقصة التي يريد أن يدخلها بمفرده وظن أنني جئت لكي أعرض عليه أن أتركها له بمقابل .



بعد تفكير طال ، استقر رأيي على أن أقتل قدرية وعزالدين عابد . حشوت المسدس بالموت واتجهت إلى البيت ، وقد آلني كثيراً أن أصبح مضغة في الأفواه .. إذ ما أن مررت بالبوتيك ، المجاور لمنزلي حتى سمعت صاحب البوتيك يتحدث في التليفون عن عزالدين عابد . وعدت أدراجي ودخلت البوتيك وبدأ للرجل من مظهرى أنني سوف أقدم على عمل خطير فوضع الساعة ورحب بي في ارتباك شديد وقلت : قل لي بصراحة .. هل عزالدين عابد يأتي إلى هنا ؟ تلغشم وهو يقول : إلى هنا ؟ ماذا تعني ؟

أشرت برأسي في اتجاه بيتي وقلت : هنا ؟ ولا تدعى البلاهة .. هل رأيت عزالدين عابد ؟

قال الرجل : اهدأ يا سيدى . عزالدين عابد أراه كل يوم .
قلت : أين ؟

قال : فى المسلسل التلفزيونى يا سيدى . . أنت تعرف أنه حديث
البيوت كلها ، فقد طلق أم أولاده وتزوج السكرتيرة ثم طلق السكرتيرة
وتزوج الشغالة .





قال المخرج السينمائي الكبير الأستاذ عمر :
ليس في الأمر كسل من جانبي ، ولكني لا أجد موضوعاً جديداً
أقدمه ، فكل القصص معادة : بطل يحب البطلة ، وبطلة تحب
البطل ، وشرير يحاول أن يمزق أحلام الاثنين ، إنها القصة القديمة
الخالدة عن الشاطر حسن وست الحسن والجمال ، وكان الشرير أمنا
الغولة .

ومضى الأستاذ عمر يقول : حتى الأساطير الجميلة في ألف ليلة وليلة
قضى عليها العلم . فبساط الريح أصبح بونج ، ومصباح علاء الدين
صار اسمه الكمبيوتر ، وخادم المصباح الذي يظهر ليقول شبك لبيك
يطلقون عليه الآن الروبوت أو الإنسان الآلي . لا جديد .

قلت للأستاذ عمر : هل ترى هذا الرجل الأشيب الوسيم أمامنا ؟
قال : نجم الدين ؟ لقد تم التعارف بيننا من قبل ونحن نجلس إلى
مائدة صديق هنا في النادي ، ولقد شدتني ملامحه الوسيمة حتى إنني
عرضت عليه الظهور في السينما وأسفت أنني لم أكتشفه منذ ثلاثين عاماً
قبل أن يصبح عجوزاً . وضحكنا كثيراً . رجل لطيف .

قلت للأستاذ عمر : ألم تسمع قصته ؟

قال : كلا .

قلت له : تعال إليه ، لعل قصته تكون الفيلم الجديد الذي تبحث
عن موضوعه .

وبدأ نجم الدين يروي حكايته :

أول فتاة تزوجتها كان اسمها ناهد ، ولم أجد بعد شهر عذراً مقبولاً
للزواج منها ، ولذلك أشعت أنها جميلة ، فلما رآها أصدقائي غيرت
العذر وادعيت أنها طباحة ماهرة .

هل كنت أعبر بذلك عن رغبة ورائية دفينه عندي ؟ لا أدري .
لكنني لا أنكر أنني كنت أحب الطعام الجيد قبل أن يرغمني الزمن
على أكل المسلوق . وقد كان جدي يهوى طهو الطعام بنفسه ، أما أبي
فقد كان على علاقة عاطفية خاصة ببعض أنواع الطعام ، وأذكر أنه
كان يأكل الحمام المحشو بالفريك وهو يبكي من فرط اللذة .
إن صدمة كبيرة أصابت أُمي عندما اكتشفت أن عروستي ناهد تجهل
الطهو . لكن شيئاً خفياً في شخصية ناهد كان يشدني دائماً إليها
ويدفعني إلى الوقوف بجوارها .

كانت شديدة الطيبة فيأضه الحنان . ولقد حاولت أن أساعدها في
أن تكون طاهية ماهرة ، فأهديتها كتاباً قيماً عن فن الطهو ، وأشهد أن
الكتاب أصبح شغلها الأول وأنها اجتهدت في استيعابه . وذات ليلة
عدت إلى البيت جائعاً وفتحت الثلاجة لأرى أولى ثمار هذا الكتاب :
طبق عجة بالبشامل ، كان قرص العجة سميكاً بديع المنظر يسيل
اللعاب ، وما إن التهمت منه قطعة حتى دخلت ناهد وهي تستحلفني
أن أقول رأيي بصراحة في هذه التورته .
تورته ؟؟

هذه عجة صريحة . لكنني بدأت أتلمس لها الأعذار ، فلعلها فتحت
الكتاب على صفحة التورته ثم قلب الهواء صفحات الكتاب . بينما هي
ترد على التليفون واستقرت الأوراق على صفحة العجة . ذلك هو
التفسير الأوحده ، وإن لم تكن هذه عجة فلا بد أنني أصبت بعاهة في
حاستي الشم والتذوق . لقد وجدت نفسي لحظتها في موقف حرج
فبدأت امتدح التورته ، وما أن تناولت هي كسرة منها حتى علت
الدهشة وجهها ، وتظاهرت أنني لم ألحظ هذه الدهشة وانسحبت من
المطبخ بطريقة طبيعية حرصاً على مشاعرها .

ثم أصبح شيئاً عادياً أن أجلس إلى المائدة وأتناول حساء أخضر

مجهول الهوية ، فأتمنى لو أنها كانت قد وضعت بطاقة على الطبق
تشرح : هذه ملوخية أو هذا قلقاس مهروس .

مرة واحدة فقط عرفت جنسية الحساء عندما سألتني :

- هل أعجبتك الملوخية ؟

- جميلة ولكن يبدو أنك تضعين فيها السكر .

- كنت أرى أمي تضع فيها قطعة سكر ، لكنني وضعت فنجان عسل
نحل . ما رأيك ؟

- جميل .

ما جدوى النقاش ؟ أنت لو عرفت ناهد كما بدأت أعرفها يوماً بعد
يوم فسوف يشق عليك أن تخدش مشاعرها . غير أن أمر التجديد لم
يقتصر على الملوخية بعسل النحل ، فذات يوم استحلقتني كعادتها
تطلب الرأي في حلوى (البودنج) . فلما اطمأنت إلى رأيي قالت :

- إذن سأصنعها كل مرة بهذه الطريقة .

- وما الطريقة ؟

- لم أعرف كيف أصنع عسل السكر المعقود ، فاستعملت للبودنج دواء
الكحة .

الحق أنها اجتهدت كثيراً لكي تتعلم ، لكن يبدو أن الطهو موهبة
استعصت عليها ، وقد يكون من العسير على سيدة مثلها تخصصت في
الفلسفة اليونانية أن تطبخ دقية بامية أو محشي ورق عنب . وكم كنت
رقيقاً جداً عندما قلت لناهد إنني يجب ألا أتعبها ، وعرضت عليها أن
تستخدم طاهياً ، فاعتبرت اقتراحي اهانة لها . ثم تطور الحال فبدأت
أتأخر عن موعد عودتي ظهراً لسببين : الأول لكي أعطيها فرصة للطهو
البطيء الذي اعتادت عليه ، والثاني لكي أمر بمطعم أتناول فيه وجبتي
ثم أعود إلى البيت وأتظاهر أنني أشاركها الطعام . وضقت بالتردد على
المطاعم ، وكنت أجد فيما تطهوه أمي - حين أعرج على بيتها - طعاماً له
مذاق آخر ، فيه لمسة الأنوثة ، وحنانها وأنفاسها العطرة .

وذات مرة كانت فكرية سكرتيرة العضو المنتدب في مكتبي ،
ولا أعرف كيف تطرق الحديث إلى مشكلتي مع ناهد . كنت أتحدث

عنها بلهجة طيبة ، وكيف أنها تبذل جهدها لكى ترضينى . وبعد أسبوع كنت مفتوناً بطبق فتة الكوارع الذى دعتنى إليه فكرية ، ثم تكررت دعواتها لى بين أفراد أسرتها .

لا تنظروا إلى بابتسامة استخفاف وسخرية أرجوكم ، فأخر ما كان يخطر ببالى هو أن أنفصل عن ناهد . صدقونى . لكن يبدو أن الرجل ملئ بالثقوب الخفية التى تراها المرأة الذكية وتنفذ منها إليه ، وإلا فما الذى أوقعنى فى حب فكرية ؟ كان يمكن ألا يحدث ذلك ، فقد كانت أمامى دائماً دون أن يخفق لها قلبى يوماً . ولكنى بدأت أراها جميلة . جذابة الشخصية .

وتزوجتها .

بعد شهر من الزواج لم أرتح للقرار الذى سبق أن وافقت عليه وأنا فى نشوة الغرام وفتة الكوارع ، فقد اشترطت فكرية ألا أحمل فى جيبى مفتاح البيت لكيلا أعود متأخراً فى الليل ، وقد رفضت فكرية إعادة النظر فى هذا الموضوع واعتبرته منتهياً ، وأمام اصرارى وافقت بشرط ألا أعود بعد العاشرة ، وأن أدق الجرس حتى تفتح لى الباب بنفسها ، فهى لا تريد أن أحرمها من هذه البهجة عندما تستقبلنى ، وعاش المفتاح فى جيبى شهراً قبل أن أتبين أنه مفتاح شقة أسرتهما ولا نفع فيه ، وعندما حملت فى جيبى مفتاح الشقة الحقيقى ، فتحت الباب ذات ليلة ، فاجأنى صوتها يقول : هل جئت يا حسنين ؟؟

حسنين ؟؟ حسنين من ؟؟

وعادت تتساءل من الداخل : حسنين ؟؟

وربطت بين المفتاح المزيف واصرارها على أن تفتح لى الباب بنفسها وبين تساؤلها عن حسنين المجهول هذا ، واندفعت كالمجنون وكدت أزهرق روحها بين يدى وأنا أسألها من يكون حسنين ؟ وأقسمت لى أن هذه حيلة تعلمتها من أمها ، فقد كانت تقول لوالدها إذا سمعته يفتح الباب فى ساعة متأخرة : هل جئت يا سى عبده ؟؟ وفى تلك الأيام اضطرب والدها الذى لم يكن اسمه سى عبده أن يلزم البيت ولا يسهر فى الخارج ، وأصبح فى حياته شبح يغار منه اسمه سى عبده . فالغيرة

تشعل لهيب الغرام .
وبرغم أن فكرية أقامت الدليل على صدق روايتها إلا أنني رفضت
بعناد أن أصدق القصة وطلقتها .

تزوجت من عين الحياة . امرأة باهرة الجمال يستحيل على الرجل أن
يقاوم فتنتها المدرعة . . لكنني ما لبثت أن اكتشفت أن تحت شعرها
الحريرى الأصفر أشد مناطق الكرة الأرضية تخلفاً وجهلاً .
كان بداخل مجتمعتها خواء رهيب . سألتني مرة هل تعرف فولتير
يانجم الدين؟؟ قلت لها : أعرفه . قالت : ما رأيك فيه ؟
قلت : رجل عظيم . قالت : تماماً كما حدثوني عنه .

لست أدري من الذى خدعها وسخر منها وقال لها : إن فولتير هو
الكهربائي الوحيد المتخصص في اصلاح ذبذبة الفولت التي نشكو منها
في تيار البيت حتى أنه اشتهر بهذا الاسم نسبة إلى الفولت الذى برع في
تشبيته .

كانت معتوهة . تضحك لكل كلمة غزل تقال لها همساً في
المجتمعات فتوارب الباب - دون قصد غالباً - لكل طامع في جامها ،
وكنت أخجل حين تفتح فمها بالكلام ، فهي لا تعي القاعدة البسيطة
التي ينبغي أن تراعى في المجتمعات : عم تتكلم ؟ وعمن تتكلم ؟
وإلى من تتكلم ؟ ومتى وكيف تتكلم ؟

وفي حفل استقبال أقمته في بيتي ، رأيت أخى الأكبر يجلس بمفرده .
همست إليها أن ترحب به وتحادثه ، فذهبت إليه وهي تردد له ما قلته
بالضبط : أخوك نجم الدين يقول عنك إنك طول عمرك خائب
وخجول وتجلس كأنك بالع فيل .

وكنت أسافر في رحلات عمل إلى أوروبا تستغرق أحياناً ثمان وأربعين
ساعة ، فكانت تصر على صحبتي ومعها خمس حقائب ، كانت تعود بها
دون أن نفتحها ، وعندما زاد عدد الحقائب إلى سبع سألتها :
- لماذا لا تأخذين البيانو معك بالمرة ؟

قالت في تردد : هل ترى ذلك ضرورياً ؟
نبهت عليها ألا تأخذ معها أكثر من حقيبة ، وفي آخر مرة كنا في

طريقنا إلى المطار عندما قالت لى : لا تخش الوزن الزائد فى الحقائق ،
فقد حلت المشكلة بفكرة مدهشة .

ماذا فعلت يا عين الحياة ؟

- خلعت كل الأزارار من بدلك تجنباً لزيادة الوزن ووضعتها فى كيس
بحقيبة يدى .

شئ رهيب .

فعندما يتاح لك أن تحيا مع عين الحياة تحت سقف واحد ، فسوف
يكون لديك فرصة العمر لترى كيف يكون الجمال الباهر دميماً .
وانفصلت عن عين الحياة .

قال المخرج الكبير الأستاذ عمر : أنت تنفصل ببساطة وتزوج
ببساطة .

قال نجم الدين : وهل كان أحد غيرى يملك غير ذلك . . ثم أنا
لا أخالفك كثيراً ، فمن الجائز أننى شعرت بسهولة تجربة الانفصال
عندما مارستها مرة بعد مرة ، فأصبحت أقدم عليها بلا تفكير ، أما عن
الزواج ، فقد اكتشفت أن المرأة هى التى تضع فوق لسان الرجل طلب
الزواج منها . ثم تطلب مهلة لكى تفكر !

وأردف نجم الدين : تزوجت بعد ذلك من قدرية . لم تكن ذات
جمال غير عادى ، ولكنها كانت امرأة رائعة . سحرها داهم ، وحديثها
شائق وأنوثتها دافقة . . كانت هذه المرأة .

قال الأستاذ عمر مقاطعاً وهو يضحك : كانت هذه المرأة زوجتك
ثم أصبحت زوجتك سابقاً . . لماذا؟؟

قال نجم الدين : كانت تأتى كل يوم بخطأ واحد صغير لا يتغير .
كانت تبرى قلم الحواجب بشفرة الحلاقة التى استعمالها . أهديتها مبرة
ذهبية ، لكن الشفرة التى كنت أحلق بها بالذات هى المفضلة عندها .
نبهتها كثيراً بلا جدوى . تبين لى أن الخطأ الصغير الواحد المتكرر
يساوى أشد الأخطاء جسامه . لقد دخلت يوماً البيت دون أن تشعر
بمقدمى ، وسمعتها تقول لصديقة لها فى التليفون : إن الشفرة تقطع
خشب القلم بسهولة فتصورى أنه يعتقد أن شعر ذقنه أقوى من الخشب

بحيث لا تستطيع الشفرة حلاقته . هل رأيت أشد غباوة من هذا الرجل ؟
طلقتها .

قال الأستاذ عمر : إن حياتك ليست إلا مجموعة من الغارات العاطفية ، كل غارة تشنها على حياة امرأة ثم تعود إلى قواعذك سالماً لتقدم المبررات وتستعد لغارة جديدة . لا جديد في القصة . أنت شهريار الحديث . لقد كان لشهريار عبد اسمه مسرور السيف يقطع رقاب زوجاته ، وأنت لجأت إلى أسلوب العصر في تدمير حياة الزوجات لأنك لا تملك مسرور السيف ولا رخصة قتل امرأة .
قال نجم الدين : ولماذا لا تقول إنى فشلت في العثور على امرأة واحدة بداخلها الأم والزوجة والعشيقة وربة البيت وسيدة المجتمع ولهذا تزوجت ثمانى مرات باعتبارهن امرأة واحدة مجزأة على ثمانية أقسام .

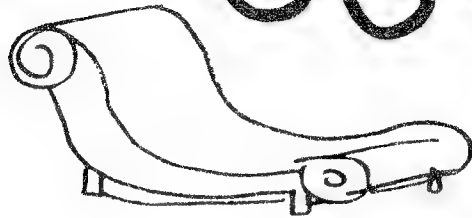
قال الأستاذ عمر : ماذا تقول ؟؟ تزوجت ثمانى مرات ؟؟
قال نجم الدين : تستطيع أن تقول سبع مرات ، فقد اضطررتني الظروف ألا أذهب في آخر لحظة إلى حفل عقد قرانى الثامن ، لأنى في تلك الفترة كنت أتلقي رسائل معطرة من سيدة مجهولة .
كنت أنتظر رسائلها في لهفة وشوق ، وكان واضحاً من رسائلها أنها صديقة لإحدى زوجاتى . فهى تعرف الكثير من خباياى ، وقد استطاعت - فى رسائلها - أن تحلل شخصيتى وأن تأخذنى من يدى وتطلعنى على أعماقى . وجدتها تعرفنى أكثر مما أعرف نفسى . وكنت - رغم قسوتها أحياناً - أحس سطورها تشع دفئاً وحناناً . وأحببتها دون أن أراها . تعلقت بها فى جنون . وعندما كانت تستبد بى ساعات الاختناق النفسى أسعى إلى رسائلها وأقرأ ، فأشعر بيدها تمتد نحوى .
وخيل إلى أننى سوف أصبح أسعد رجل فى العالم لو أنها ارتضتني زوجاً . ولكن أين هى ؟ وكيف أراها أو أخاطبها ؟؟

وكأنما كانت تستمع إلى مناجاتى لها فى وحدتى . ففى يوم عقد قرانى السابع فوجئت ببرقية منها تقول : انتظرنى إنى قادمة إليك .

قال الأستاذ عمر : وجاءت ؟
قال نجم الدين : ورأيتها . كانت هى زوجتى الأولى ناهد ،
وأصبحنا زوجين منذ سبت عشرة سنة .
اعتدل المخرج الكبير فى اهتمام بالغ قائلا : هذا مثير . . مثير . .
هذا هو الجديد . فيلم يبدأ بالطلاق ثم ينتهى هذه النهاية السعيدة !
قال نجم الدين : من قال لك إنها نهاية سعيدة ؟ لقد اشترطت
ناهد أن تكون العصمة بيدها !



الإمتحان



في جلسة دافئة على شط النيل ، اتفقت مع طمطم على أن أتقدم لطلب يدها . . ونظر إلى والدها الدكتور مراد نظرة تأمل طويلة وهو ينفث دخان السيجار بعصبية واضحة ، ثم قال لي : إنه سوف يضعني تحت اختبار نفسي دقيق قبل أن يعطيني الموافقة ، حتى يضمن لكريمته الوحيدة سعادة زوجية حقيقية .

ونفض الدكتور مراد وهو يطلب أن أنتظره في غرفة جانبية بالعيادة ، وكان الممرض يدخل بين حين وآخر ليقول : إن الدكتور سوف يتفرغ لي بعد قليل ، ومرة ساعة إثر أخرى ، خفت الأصوات تدريجاً خارج الغرفة ، ففتحت الباب لأجد أن العيادة قد أغلقت وأن الجميع انصرفوا ، وأن التليفون الذي يمكن أن أستغيث به موجود في مكتب الدكتور وراء باب مغلق . . وبدأت في قضاء ليلة أليمة وأنا حبس العيادة القديمة التي تصفر ريح الشتاء عبر نوافذها المتهالكة ، وقد حاولت أن أدق باب الشقة من الداخل فلم يسمعي أحد ، وحتى لو سمعني إنسان فإنني بداخل عيادة يتردد عليها المضطربون عقلياً ونفسياً ، ولا مصلحة لعاقل في إطلاق سراح مجنون يدق باباً أوصد عليه في الليل .

وقد سعد الدكتور مراد كثيراً بسلوكي في تلك الليلة البغيضة ، إذ أثبت جهاز التسجيل الذي أخفاه أنني تحملت المحنة في صمت ودون أن يرتفع لي صوت ، وهذا يدل - كما قال - على أن لدى قدرة رائعة على مواجهة المواقف العسيرة في هدوء وسيطرة كاملة ، وكانت سعادتي أنا

أكبر من سعادة الدكتور مراد ، لأن جهاز التسجيل لم يسجل اللعنات التي رحت أصبها طول الليل على رأس هذا الدكتور ، وذلك لسبب يرجع إلى خلل في جهاز التسجيل نفسه .



قال لي الدكتور مراد : إن الزواج نظام عظيم لا يفسده إلا المتزوجون ، فإن المتزوجين التعساء هم الذين أقدموا على الزواج وفي نفوسهم علل وأمراض نفسية وصراعات ، ولهذا تفشل زيجاتهم . ثم ارتفع صوته مؤكدا : ولا بد أنك معقد . أبدا يا عمى .

أشار بيده أن أصمت ثم قال : عليك أن تفهم أن علاقة الزوج بالزوجة هي امتداد للعلاقة الانفعالية بالأم ، وكل ما لقيته من والدتك في طفولتك المبكرة سوف تدفع ثمنه ابنتي المسكينة طمطم .. تمدد هنا واسترخ تماما وأجب عن كل سؤال بدقة حتى أكتشف عقلك .. يا عمى أنا لست معقداً .. إخرس ..

غفرت لرجل عنفه ووقاحته وهو يدفعني نحو الشيزلونج ، فهو - على الأرجح - يقوم باختبار لقوة أعصابي ومدى قابليتها للاستشارة ، وربما يكون تعامله مع المجانين المتهيجين قد علمه غلظة المواجهة ، وفي كل الأحوال كان يجب أن أستلقى على ظهري مطيعاً ، إذ أنه بعد أن دفعني دق الجرس مرتين فدخل على الفور ممرض له قامة مصارع روماني وفي يده حبل ، غير أنه ما لبث أن انصرف بإيماءة من الدكتور . في سبيل طمطم كل شيء يهون .. والحق أن طمطم كانت تشجعني على الصبر وقوة الاحتمال ، وهناك أيضاً إبراهيم أبو الطيب الذي كان يخفف عني كثيراً ، وهو شاب من المترددين على العيادة توثقت بيني وبينه الصلة والتعاطف .

لقد تعرضت لاختبارات نفسية صعبة واجتزت امتحان الموقف الأوديبى ، وتأكد للدكتور مراد أنني لست (أوديب) الذي قتل أباه

لايس ملك طيبة من أجل أمه الملكة لوكاستا .
قال الدكتور مراد : أريد أن أطمئن تماماً من ناحية العلاقة بالأم ،
فالفتره الأولى من حياة الإنسان يعتمد خلالها على الأم ، وقد يفشل
الرجل في عدم الخروج من هذه المرحلة فيظل تعلقه بالأم وحاجته إلى
قربها كما كان في الطفولة ، وهذا الرجل حين يتزوج يختار الزوجة التي
يشعر في وجودها بنفس الإشباع العاطفي الذي كان يحس به مع أمه ،
ومثل هذا الرجل يتحول إلى زوج (نكدي) لأنه يريد (الأخذ)
فقط . . فهو يكيل الاتهامات لزوجته إذا بدا منها أقل تقصير في رعاية
شئونه والاهتمام به . . إن كل سعادة زوجية أو كل تعاسة بين زوجين
تتكون نواتها في المرحلة الأولى بين الطفل وأمه .

وسكت الدكتور مراد ثم سألتني : قل لي يا وائل : هل استيقظت
مرة وأنت طفل طلباً للرضعة فتأخرت أمك ؟

قلت في حرص وكأني أسير في حقل الغام : كلا . . استبعد هذا .
قال : هل تعرف أن الدقائق القليلة التي تأخرت خلالها والدتك في
تقديم الرضعة قد سببت لك صدمة نفسية ترسبت في أعماقك ؟
وهل تعرف أن ابنتي طمطم سوف تدفع ثمن كل هذه الصدمات ؟
اكتفيت بأن استعيد بالله مستبعداً كل مكروه بسبب تأخير الرضعة ،
لكن الذي لم أكن أتوقعه أبداً أن يأتي الدكتور مراد إلى بيتنا في زيارة
مفاجئة ليستكمل معلوماته عن طفولتي المبكرة ، وقالت له أمي الطيبة
- رداً على سؤال له - إنني كنت أوقظ العمارة كلها طلباً للبرازة . . ولم
أجد أية وسيلة لوقف تدفق حديث والدتي التي مضت تقول : إنها
أطلقت علي اسم (الكلبوطة) لأنني كنت سميناً جداً ، فكانت تنتزع
البرازة من فمي انتزاعاً ، إذ كنت نهياً لا أكتفي أبداً بما يقدم لي من
لبن .

هنا التفت نحوي الدكتور مراد كمن ينظر إلى وحش منقرض ثم
طلع فجأة بأسئلة وجهها إلى أمي : ماذا لاحظت عليه بعد ذلك ؟
كيف كان يتصرف ؟ هل ظهرت عنده مثلاً ميول للعض ؟
قالت أمي متلهلة الأسارير : والله كأنك كنت تعيش معنا

يا دكتور . . لقد كان بعض كل لحم بشرى وغير بشرى يصل إلى أسنانه . . تصور أنه عض مرة قطته الصغيرة نهرت من البيت ولم تعد .

هز الدكتور مراد رأسه كمن وقف على أسرار مؤسفة للغاية ثم نظر نحوى قائلاً : عندك (عصاب فمى) .

قلت ويدي على قلبي : ما معنى (عصاب فمى) .
فهمت من الدكتور مراد أن الرضاعة تمثل قيمة كبرى لحياة الطفل النفسية ، وإنها تنقسم إلى فترتين : ما قبل ظهور الأسنان وما بعد ظهور الأسنان ، وهذه الفترة الأخيرة تعتبر مرحلة عدوانية هدامة ، وإن الاضطرابات النفسية التي صاحبت مرحلة نشاطى الفمى نتج عنها (سادية فمية) ، وهى رغبة لا شعورية فى العض والاتلاف بالأسنان .

لم تفهم أمى من حديث الدكتور إلا الجملة الأخيرة فابتسمت تقول بنفس العفوية : عندك حق يا دكتور ، كنا نشترى التفاح ونضعه فى سلة الفاكهة فيتسلل وائل ويقضم من كل تفاحة قطعة فيفسده جميعاً ، كذلك كان يفسد كل مشابك الغسيل بالعض فيها ولم يسلم قلم رصاص من أسنانه الحادة ، وعزلوه فى الحضانة بعيداً عن الأولاد لأنه كان يدمى لحم الأطفال بعضه !

وضحكت والدق وهى تربت على ظهرى : وائل طول عمره عضاض لكن دمه خفيف .

دمى خفيف ؟

لم تدرك والدق الطيبة أبعاد المأساة التى سببتها لى ، فقد أعلن الدكتور مراد بعد هذه الزيارة البيان رقم واحد . . وهو أن أمى خضراء العينين وأن هذا هو سر تعلقى بطمطم ، وكان البيان رقم اثنين أن عندى رواسب عدوانية مدمرة تجاه والدق التى دأبت على انتزاع البزاة من فمى ، وهذا يجعل أمى - فى أعماقى اللاواعية - هى العدو اللدود الذى كان يريد أن يحرمنى من الصلة الوحيدة بينى وبين الحياة : وكان البيان رقم ثلاثة أنى أستعد للانتقام من أمى فى شخص طمطم ، وكان

البيان رقم أربعة أننى أعانى من العصاب الفمى وأننى ممكن أن أتحوّل
فى ثوراتى إلى كلب وولف .

لقد بكت طمطم كثيراً بعد أن كشف لها أبوها أننى لا أحبها
لشخصها ولكن أحب فيها أمى ذات العينين الخضراوين ، ولأن
طمطم شديدة الغيرة إلى حد الجنون ، فقد تفوهت بألفاظ جارحة وهى
تتعتنى بالخديجة والغش ، وهنا اضطرت أن أنسحب من مكاننا
المفضل على شط النيل ، إذ خشيت أن أفقد أعصابى وأنقض عليها
بأسنانى . . فلقد بات الاعتقاد راسخاً عندى أن تشخيص الدكتور مراد
صحيح لكثرة ما قال وحلل واستشهد بالوقائع . . إن الرجل الذى رأى
فى منامه أنه يأكل الكنافة فاستيقظ ليجد أنه أكل اللحاف ، واقعة - فى
رأى الدكتور مراد - لا ينبغى أن تروى على سبيل النكتة ، بل هى
حقيقة يمكن أن تحدث لى أنا المصاب بالسادية الفمية . .
عدت إلى البيت فاتصلت بى طمطم لأسمع منها كلمتين : أنت
كلب ، ثم وضعت الساعة بعنف . . ولم أعرف إن كانت طمطم
تقصد إهانتى لأننى تركتها وانصرفت ، أم أنها تشخص الحالة التى
اكتشفها أبوها .

لقد قاطعتنى طمطم لكننى لم أنقطع عن التردد على العيادة ، وأصبح
إبراهيم أبو الطيب يفتح صدره وقلبه لشكواى ولوعتى ودمعتى أحياناً .
فهو إنسان عاقل رغم ما يحيط به من شكوك حول قواه العقلية . . ولقد
أحضره أهله إلى الدكتور مراد لأنه ترك الدراسة الجامعية فجأة وأعلن
أنه لن يضيع وقته سدى فى التعليم ، فالعلم فى رأيه سوف يتوصل
بأسرع مما نتصور إلى برجة المخ وتخزينه بالأفعال والتصرفات ، فيصبح
الإنسان عالماً فى الطبيعة أو عالماً فى الزراعة أو الفلك ، مؤدباً مهذباً ،
تتسم تصرفاته بالركة فى معاملة الآخرين ، ومادامت مراكز العاطفة فى
المخ ستتم برمجتها ، فإن كل إنسان سوف يحسن الحب بالإخلاص
والوفاء . ولن يكون هناك شقاق أو خيانة أو إيلاام أو لوعة أو انتقام ،
بل بيوت سعيدة يسودها الحب وحده .

وأضاف إبراهيم : وعندما تتم برجة مخ الإنسان فلن تصبح البزازة

التي رضعتها وأنت وليد هي مشكلتك الكبرى مع شريكة الحياة وأنت رجل .

هل هذا كلام إنسان مجنون؟؟ لا يمكن .. لقد شعرت بالارتياح لحديثه المقنع فقلت له : لا تتصور يا إبراهيم كم أصبحت شديد التعقيد من البزازة .

قال إبراهيم أبو الطيب : إن الدكتور مراد صور لك البزازة على أنها أداة هدم وجعلها منفرة وبغيضة .. لماذا لا تحاول الاقتراب من هذه البزازة التي افترقت عنها منذ سنين طويلة ؟ لماذا لا تعاشرها وتجعلها أمامك حتى تألفها ؟ إن التعود يخلق العاطفة حتى بيننا وبين الأشياء . جرب .. من يدري ؟

كانت سعادتي لا توصف عندما اتصلت بي طمطم تليفونياً تصالحتني .. لكنها ما لبثت أن قالت إنها تبادر بالاتصال بي لأنني تافه ، وقد رأيت لحظتها أن هذه الكلمة الجارحة هي اختبار لتحريك ميولي العدوانية الدفينة نحو أمي وممارستها مع البديلة طمطم ، فافتعلت ضحكة متسائلا : أنا تافه يا حبيبتي ؟ فردت قائلة : ولم أر أشد منك تفاهة .. قلت بنفس النبرة المرحية : لماذا يا روحى ؟ أجابت : لأنك لم تتصل بي أيها الحمار . حمار ؟

راجعت حساباتي بسرعة واستنتجت على الفور من هذه الاستشارة المتصاعدة أن أباها يسجل المحادثة ليرى مدى عدوانيتي ، لكن الذي أزعجني كثيراً أن كلمة حمار جعلتني أضغط فكي بشدة ، مما قد يعنى أن طمطم لو كانت أمانى فربما انقضضت عليها بأسناني . انتهت المحادثة بأن نلتقى في مكاننا على شط النيل .

وكم كانت طمطم رقيقة وحانية في هذا اللقاء عكس ما توقعت ، وبدأ لي أن كل إساءاتها كانت متعمدة وبدافع من والدها لاختبار سلوكي في ردود الأفعال ، وأفقت من خواطري وطمطم تسألني معاتبه : ألم تنس شيئاً اليوم يا حبيبى ؟ وأدركت أنها تسألني عن الشيكولاتة البيضاء التي اعتدت أن أقدمها إليها في كل لقاء ، جذبت

حقيقتي من المقعد المجاور ، وما إن فتحتها حتى قالت طمطم في دهشة : ما هذه البزاة التي في حقيبك ؟؟

كان من العيب أن أشرح لها نصيحة إبراهيم أبو الطيب في التعايش مع البزاة ، غير أني فوجئت بها تقول : يبدو أن ما قالته أمك لأبي صحيح تماماً .

- لقد قالت أمي الكثير فماذا تقصدين ؟
- لقد قالت أمك إنها شاهدتك وأنت تضع البزاة أمامك طول الليل وتكلم نفسك .

- هذا صحيح .. لا جدوى من الإنكار .
ولكن أبي يقول إن هذا دخول صريح في مرحلة الاختلال العقلي .
ملأني الغيظ والقهر فأمسكت بيدها وأنا أضغط فكي بمنفرج الشفتين ولا أعرف ماذا قلت عن أبيها ، ولا هي سمعت ما قلته ، فقد انسحبت خارجة بسرعة وهي تهددني بأنها سوف تستغيث بعمال المحل .



أعلن الدكتور مراد أنه رفضني زوجاً لابنته لأنني إنسان غير سوى ملء بالعلل النفسية المدمرة ، وأنني أجتاز البوابة الكبرى إلى عالم المجانين .

لكنني في الحقيقة كنت أجتاز البوابة الكبرى إلى عالم الأحران ، فقد اكتشفت أن الشاب الوسيم إبراهيم أبو الطيب كان هو العريس الذي رشحه الدكتور للزواج من ابنته ، وأنه كان يتردد على العيادة مدعياً أن أهله أحضروه للعلاج نفسياً ، وأنه اجتاز الاختبارات جميعاً بتفوق نادر ، وأنه استطاع في فترة وجيزة أن يتسلل إلى قلب طمطم .
كما قتلني ببطء أن تحب طمطم إبراهيم حباً جنونياً . كما أحببتني ، وأن تغار عليه مثلما كانت تغار عليّ .. لقد كانت نهاية العالم بالنسبة لي .

ورغم أن الذى ضيعنى بزاة ، فإننى أدين بحياتى للبزاة ، فقد
صحا الناس ذات يوم ليجدوا أن طمطم قد استراحت من الغيرة
وعبأت إبراهيم أبو الطيب فى أكياس بلاستيك نثرتها فى أنحاء المدينة .





لا غنى لى عن صديقى زاهر !
إننى أرتاح كثيراً - ككل أصدقائى - إلى صحبته ، فهو ليس إنساناً
غير عادى فقط ، بل هو اختراع باهر ، إذ أن عنده أخلاقاً .
وهو يتفرد بسيات وسجايا رشحته لكى يبرز فى مجال العلاقات العامة
ويتقلد فيها أعلى المناصب ، ولا شك أن تخصصه فى العلاقات العامة
أضاف إليه التمرس فى فن معاملة الناس ، فبرع فى الأمر المستحيل :
سيكلوجية إرضاء الكل .

ولا يستطيع إنسان أن يشهد بأن زاهر فقد أعصابه مرة ، أو رفع
صوته الهادىء ، أو خانته اللبابة يوماً ، أو غابت الابتسامة عن شفتيه .
ولقد تسببت هذه الابتسامة الدائمة فى متاعب كثيرة أثارتها زوجته ، إذ
اتهمته بأنه يبتسم فى وجه كل امرأة ، وحينما تأزم الأمر بينهما وأهانت
زاهر بكلام جارح ظل يبتسم أيضاً ، ثم تبين أن عضلات فكه تصلبت
على هذه الابتسامة ، ونصحه صديق لنا من رجال القانون بأن يرفع
دعوى على المؤسسة التى يعمل بها لأن هذه الابتسامة تعتبر إصابة
عمل ، فهو بحكم عمله مضطر للإبتسام فى وجه الجميع ، تماماً ،
كمذبةقة التليفزيون ، ورغم العلاج الطبيعى بتدليك عضلات فكه ،
إلا أنه استمر يبتسم فى صحوه ونومه ، ويبتسم حتى وهو يجالس
زوجته .

والحقيقة أننى أعتبر زاهر ضرورة هامة من ضرورات حياتى فهو
الصديق القادر على العطاء دون مقابل ، وهو يترك لى متعة الحديث عن

نفسى كما أشاء ، فأحكى له عن مغامرات نسائية لم تحدث أبداً كشأن معظم الرجال ، وأشعر بغبطة عظيمة وهو يشيد بمواهبي فى فن مناورة النساء ويبدى إعجاباً بلا حدود بخشونتى فى معاملتهن ، ثم إن زاهر يمثل ركناً هاماً فى حياتى الأسرية ، فإنى أعتمد عليه تماماً فى فض الاشتباك بينى وبين دانيلا التى أدللها باسم دونا المجنونة ، فهى انفعالية المزاج عالية الصوت كمعظم نساء الجنوب الإيطالى ، وهى مجنونة بحبى ، وهى لا تتورع فى ثورات غيرتها أن تقذفنى بما تصل إليه يدها ، وبفضلها عرفت أن الزواج يساعد على اكتساب الخبرة فى الاسعافات الأولية .

إن الحياة مع دانيلا صعبة ، والحياة بدونها شبه مستحيلة ، فأنا أعشقها حقاً ، لكن المشكلة أنها تعتقد أننى دون جوان خطير لسبب يتعلق بوسامتى واهتمامى البالغ بملبسى وأناقتى ، مع أننى لست دون جوان ولكنى أدعى ذلك أمام خاصة أصدقائى ، إذ أميل إلى أن أجنح بخيالى إلى خلق قصص وهمية أحكيها لزاهر بالذات سراً للمواقف التى أتعرض لها فى سوررات غضبها ، فهو يرانى فى مهانتى أستعطفها وأسترضيها ، ولا بد أن يعرف أننى مرغوب من الأخريات اللاتى أزعج فى حكاياتى أننى أعاملهن بغلظة وجفاء .

ولقد زاد الأمر صعوبة أن دانيلا عندما تنتوى إثارة أزمة تزيد من جرعة الشراب حتى تصبح جرأتها أكثر ويدها أطول ، وقد كانت دانيلا تؤكد لى أنها لا تحب شرب الخمر ولم تجربها أبداً إلى أن ألحت عليها صديقة دعتنا ذات ليلة فشربت دانيلا الكأس الأولى ثم مالت على أذنى تهمس : هذا الويسكى مغشوش .

ليلتها أبدى زاهر انبهاره بحاسة التذوق عندها وكيف تكتشف الأشياء دون سابق تجربة ، واستطاع أن يقنعنى بذلك ، ولقد علمنى زاهر أشياء كثيرة لعل أهمها ألا أستسلم للحظة انفعال طائشة ، وعرفت عن تجربة أن لحظة غضب أنفجر معها فى وجه دانيلا قد تجر مشاكل أكبر ، مثلما حدث ذات يوم وأصرت دانيلا على أن أطلقها وأن تقاضينى لأننى ضربتها ، وقد بذل زاهر يوماً جهداً مفضياً فى وساطته

وقال لها في سياق الحديث : إن هناك مثلاً أسبانياً يقول : إذا ذهبت إلى المحكمة من أجل خروف فسوف تفقد البقرة ، وانتهى الأمر بأن قالت دانيلا وهي تنظر نحوى : حسناً . . لن أذهب إلى المحكمة من أجل هذا الخروف .

وتدخل زاهر وهو ينظر نحوى بغمضة سريعة وهي حركة يأتيها عندما يرجون أن أهدأ وأحنى رأسى للعاصفة ، فقد لاحظ توترى من أننى خروف ، وعندما مضت دانيلا إلى الداخل أقنعتى زاهر بأن الخروف فى هذا المثل الذى قاله ليس المقصود به أنا ، لأن الخروف فى المثل خروف أسباني طبعاً .

ومع العام الرابع من زواجنا كنت قد تعلمت أن أروض نفسى على احتمال ثوراتها ، وربما شجعتى على ذلك سعادتي الخفية بغيرتها المجنونة على ، وأن غضباتها الحمقاء تنتهى أحياناً بارتماثها باكية بين ذراعى .



فى عيد ميلاد زاهر كان الحفل الساهر يضم جموعاً من أصدقاء الرجل الذى يمد جسور الحب والمودة مع كل الناس . وفى ركن هادى بعيد عن الزحام التقيت بسيدة تبحث عن شعلة لسيجارتها . امرأة جميلة رائعة القوام . حاملة الملامح شاعرية الجمال يتسلل من عينيها سحر أخاذ . الابتسامة التى طالعتنى بها تذهب بالعقل . ماذا جرى لى ؟ لأول مرة منذ زواجى أريد أن أغازل امرأة !

أسرعت أفتش فى جيبي عن الثقاب الذى أحتفظ به باستمرار لأن دانيلا تفقد دائماً ولاعات السجاير . وقدمت نفسى للسيدة الجميلة بعد أن أشعلت سيجارتها .

- حسين الكريتللى .

- مدام بركات . . درية بركات .

- تشرفنا يا فندم

- سيجارة ؟

- شكراً . أقلت عن التدخين .

- هذه قوة إرادة .
- إنها قوة إرادة زوجتي التي رأت أن تضيف نفقات سجائري إلى مصروف يدها .

فضحكت السيدة الجميلة بينما تلفت حولي حذراً من دانيلا ، وعدت أتأملها بسرعة . ما أجملها ! ثم لماذا أنا ضعيف دائماً أمام التسريحة الشنيون للشعر الأسود ربما لأن دانيلا - منذ أن عرفتها - تذهب إلى الكوافير وتدفع له حتى ينكش شعرها على طريقة أمنا الغولة . هل نكش الشعر يدفعون من أجله الفلوس؟؟
أمام مدام بركات شعرت بالولد الشقي يتحرك في صدري . أريد أن أغازلها . وجدتنى أقول :

- إني مستعد أن أشرح لك في التليفون كيف أقلعت عن التدخين .
ما رقم تليفونك ؟

قالت ولا تزال الضحكة على شفيتها : ومن قال لك إني أريد أن أقلع عن التدخين ؟

قلت : ومن قال لك إني أريد رقم التليفون لهذا السبب ؟

قالت : ولماذا إذن تريد الرقم ؟

قلت : لأطمئن إن كان يقبل القسمة على ثلاثة .

قالت : اطمئن .

قلت : الحمد لله .

ضحكت مدام بركات ، وفي نفس اللحظة رأيت دانيلا مقبلة ، قالت من بعيد : أين أنت ؟

في محاولة فاشلة لكي أخفي ارتباكي قلت لمدام بركات : هذه زوجتي دانيلا .. دونا يا عزيزي هذه مدام بركات زوجة السنيور بركات .. واحد من أعز أصدقائي .

تبادلت المرأتان إيماءات الرأس من باب التحية ، إذ لم تبادر دونا المجنونة بمد يدها ، بل جذبتني من يدي قائلة : إن الأصدقاء ينتظرون هناك ، ولقد توقعت أزمة بعد أن ضبطتني أقف مع السيدة الجميلة ، لكن - لدهشتي - وجدت دانيلا صافية ، وبدا أنها لم تعر الأمر أهمية .

وعدت معها إلى الزحام ، ورحلت أفتش بعيونى عن مدام بركات ،
ومضى الوقت دون أن تظهر . وشعرت بحزن يمس قلبى .
فى اليوم التالى كانت دانيلا تترين أمام المرأة عندما سألتنى : ما اسم
صديقك العزيز الذى كنت تقف مع زوجته أمس ؟
سألتها فى عدم اهتمام مصطفى : من ؟ فؤاد زوج أمينة ؟
قال : أعرف فؤاد وأعرف أمينة .
قلت بنفس اللامبالاة : تقصدين رضا ؟
وقاطعتنى بنبرة مرتفعة : لا تتصنع البلاءة .. إنى أحدثك عن
بركات .. هل نسيت بركات ؟
- آ .. بركات .. إنه من صفوة الأصدقاء .



أسرعت أحيط زاهر علماً بهذه الورطة ، ورجوته - إن سُئِلَ - أن
يقول لدانيلا إن بركات واحد من أعز أصدقائنا ، وهنا استفسر زاهر
عمن يكون بركات الذى أعنيه .
قلت له : ألا تعرف بركات ؟ كانت زوجته درية فى عيد ميلادك ،
ولحسن الحظ لم تضبطنا دانيلا ودرية تقبلنى ..
ارتفع حاجباه فى دهشة والابتسامة على فمه : درية ؟؟
- أجل يا زاهر . انتهزت درية فرصة وجودنا فى الممر الخالى وقبلتني قبلة
خاطفة .

- لكنك لم تخبرنى من قبل بأن بينك وبين درية غراماً .
- غراماً عمره شهور .. ولا بد أنى حدثتك عنها ولم أشر إلى اسمها ..
- الحق انك محظوظ مع النساء .. فإن درية حام حولها رجال كثيرون
بلا جدوى .

قلت ضاحكاً : هل نسيت من أنا ؟ أنا حسين الكريتلى .
- طبعاً .

فترة صمت لثوان هزرت بعدها رأسى متنهداً : هل تصدق إنها
تهددنى بالانتحار ؟

- درية ؟

- تريدني أن أطلق دانيلا لأكون لها وحدها . ومضيت أروى لزاهر لقاءاتي مع درية ، وجنح خيالي إلى بعيد يعبر في أحلام يقظة عما جرى بيني وبينها ، ثم أفصحت لزاهر عن خوفي من زوجتي التي تولى مشكلة درية اهتماماً خاصاً . إن دانيلا لديها رادار عجيب تظهر على شاشته أية امرأة تلوح في حياتي : أريد نصيحتك يا زاهر . ماذا ترى ؟
قال بعد تفكير : لماذا لا تتبعد عن درية ولو مؤقتاً .

قلت ساخراً : يا سيدي أنا مبتعد تماماً ولكنها تلاحقني وتهددني بالانتحار . . . فماذا أفعل ؟



كنا نتناول عشاء خفيفاً أمام التلفزيون عندما بدت دانيلا قطة وادعة ودوداً ، وقالت وهي تطعمني بيدها إنها كانت على شيء من الوقاحة في لقاءها بمدام بركات ، وقد استقر رأيها أن تصحح هذا الخطأ - من أجل صداقتي بزوجها - وتدعو الاثنين إلى فنجان شاي . .
قلت دون تفكير : ولكنها لا يحبان الشاي .

ترجمت دانيلا الارتباك الذي لم أفلح في إخفائه إلى علامة استفهام كبيرة ، فاشتد إصرارها على دعوة بركات ودرية ، ولم أجد بداً من أن أقترح عليها إرجاء هذه الدعوة حتى يعود بركات من الخارج ، فقد زعمت أنني التقيت به في الحفل وأنه سوف يقوم في اليوم التالي برحلة عمل إلى أوربا .

وكالعادة ، فزعت إلى زاهر أستغيث به : كيف أدعو إلى بيتي رجلاً لا أعرفه ولم أقابله في حياتي ، وحتى إذا نجحت في دعوته ، فكيف أظهر معه أمام دانيلا كصديقين قديمين ؟؟

فكر زاهر قليلاً ثم قال : وكيف نتصل الآن بعمر و بركات ؟
- اسمه عمرو بركات ؟

استمر زاهر يقول : علينا أن نفكر بهدوء ، فالوقوف دقيق . لأن الاتصال بعمر و بركات الآن مستحيل .

- لماذا ؟

- لأنه مات من ثلاث سنوات .

- ماذا تقول ؟ أنت متأكد ؟

قال زاهر : طبعاً ، فقد كان زوج شقيقتي درية .
درية شقيقتك ؟؟

أصابني ذهول عظيم عقد لساني ، ماذا أقول لهذا الرجل ؟ هل أقسم له أن كل ما زعمته عن شقيقته كذب واقتراء ؟ هل أحلف له بكل المقدسات أنني لم أر أخته إلا لدقائق يوم عيد ميلاده ؟ هل أقول له إنني منذ أن عرفت دانييلا لم أعرف امرأة سواها ؟؟ لا أدري ماذا كان يقول زاهر وذهني غائب في الذهول الكبير ، لكن كان يربت على ظهرى مهوناً ، ووجدتني أقول له : بخصوص مدام درية أود أن أقول .

ولم يدعني الرجل أكمل ، بل استحلفني بالأقوال شيئاً لأنه يقدر ظروف كل إنسان ، ورجاني أن أنسى الموضوع كله حتى نتفرغ لإيجاد حل للمشكلة مع دانييلا .

أي رجل خرافي هذا ؟ وأي صديق له أخلاق الملائكة ؟؟



وصلت المشكلة مع دانييلا إلى ذروتها ، واكتشف زاهر أنها اشترت مسدساً ، ولما صممت في ثورة جنونية أن أترك البيت لأنها لن تعيش مع زوج خائن ، أعطاني زاهر إشارة بغمضة عينيه أن أحني رأسي للعاصفة ، فحملت حقيبة ملابسى إلى الفندق ، وتفرغ زاهر لترويض تلك النمرة المتوحشة . لقد شاهدت جهود الرجل الجبارة وأنا أقف بالرصيف المقابل في ليل الشتاء البارد حتى تطفأ الأنوار في نوافذ بيتي بعد منتصف الليل ، وهبط زاهر فأسرع إلى لقياءه ، يؤكد لى : دانييلا سوف تعود إليك . هذا وعد .

وذات أمسية شعرت بحنين جارف إلى دانييلا . ذهبت إلى بيتي ، وفتح لى زاهر الباب وهو يرتدى بيجامتي . قال لى بابتسامة ونحن

بالباب : اغفر لي مظهرى .. ففى المناقشة من أجلك احتدت دانيلا
وقذفتني بكأس النبيذ وانسكب على بذلتى . ثم حانت منه التفاتة
سريعة إلى الداخل أشار لي بعدها بيده أن أنصرف حتى لا يتعقد الأمر
أكثر ، هامساً بوعده فى تأكيد : دانيلا سوف تعود إليك .
وما إن وصلت إلى الفندق حتى أجريت اتصالاً مع مكتبى فى باريس
ليرسل إلى زاهر بذلة فاخرة من أرقى بيوت الأزياء بدلا من تلك التى
أتلفها النبيذ .
ذلك أقل ما يمكن أن أعبر به عن مشاعرى نحو توضحيات هذا
الرجل ذى الأخلاق الرفيعة .





كنت شديد الإعجاب بصديقي عبدالواحد لأسباب كثيرة ، فهو أولاً مثل يحتذى في قوة التحمل والصبر على المكاره منذ صباه ، فكان في المدرسة يواجه مزاحنا بابتسامة لا تبالي ، ونحن نناديه باسم « ليتشو » ، وهو فيلم يمثل فيه البطل نموذجاً مضحكاً للغباء الشديد ، وكان محور سخريتنا من عبدالواحد اهتمامه البالغ بإطعام الكلاب الضالة وقطط الشوارع ، لكن عبدالواحد لم يكن غيباً أبداً ، بل كانت له ملامح جذابة توحى بالطيبة الشديدة ، كما توحى للبعض الآخر بالاعتداء على عقليته والنصب عليه .

وعندما أنجبت ناهد طفلها الأخير بكت وهي تتطلع إلى وجه الطفل الوليد ، وقالت لأُمها : إنها ترى فيه قسماً عبدالواحد ، وهذا يعني أن الولد سوف يكون متخلفاً عقلياً . وزارها عبدالواحد ، وتهلل وجهه لما رأى الطفل على صورته ، وعندما مسحت ناهد دمعة في عينها ربت عبدالواحد على كتفها يسألها عن سبب بكائها ، فقالت له أمها : إن ناهد تعاني وهماً من أن الطفل سيكون متخلف العقل ، فاستعاذ عبدالواحد بالله وطمأنها بأن هذا لن يكون لأن الطفل يشبهه تماماً . ولقد تصور عبدالواحد أن إنجاب هذا الطفل الأخير - بعد بنتين وولد - سوف يشغل ناهد عن ملاحقته والاشتباك معه منذ أن وجدت فوق سترته فتلة شعر نسائي طويلة وحمراء ، لكنها لم تستطع أن تقيم الدليل على أن الشعرة الحمراء لمدام أنطوان العجوز المتصاية في الفيلا المجاورة ، وخاصة أن المدام كانت قد غيرت لون شعرها إلى الأصفر

منذ أسبوع مضى ، لكن شكها في المرأة العجوز لم يتبدد تماماً ، واكتفت بمقاطعتها .

وأعود لأسباب اعجابي بعبدالواحد لأقول : إننى مبهور به - ثانياً - لأنه ينقلنى بحكاياته الشائقة إلى عوالم مثيرة لا أراها إلا في أفلام السينما ، فإن مهنته السياحية تتيح له أن يطل على العالم من نوافذه الواسعة ، فهو دائم السفر ، وهو يرتاد المجتمعات التى تتألق فيها صفوة الناس فى الدنيا ، لكن تمنيت أن يصحبنى عبدالواحد فى رحلة من رحلاته إلى أوربا وأن أكون معه فى لوجانو وهو يلتقى بالجميلة سينثيا فى بيتها الصيفى الكبير على البحيرة السويسرية الشهيرة ، حيث يتجمع عندها فى الحفلات مشاهير السينما ونجوم المجتمع العالمى ، وخاصة الارستقراطية القديمة من بارونات ومركيزات وحفيدات الأباطرة والملوك .

وأول مرة أعرف حكاية سينثيا كانت فى ذلك اليوم البعيد . عندما دخلت مكتب عبدالواحد وهو متهلل الوجه ، يعيد سماعه التليفون إلى موضعها ، ولما سألته عن سر سعادته البادية قال لى : إنه كان يتحدث إلى سينثيا ، وقد استطاع أن يسترضيها بعد أن أبكائها فى الصباح ، فهى كانت تريد أن يلحق بها فى باريس ، وبكت عندما اعتذر عن لقائها لكثرة مشاغله ، غير أنه عاد واتصل بها ليعلن أنه ذاهب إليها مساء اليوم .

- ومن تكون سينثيا هذه ؟

- إنها ليدى تشسترتون ، ابنة دوق انجليزى .. ثم فتح عبدالواحد درجاً فى مكتبه وأعطانى صورة لامرأة باهرة الحسن ترتدى ملابس الفروسية وتمتطى جواداً .

- ياه ! ما هذا الجمال الخرافى ؟ شعرها أحمر .. آ .. الآن عرفت مصدر الشعر الأحمر العالق بملابسك ..

- فى سبيلها تهون كل المتاعب .. أنت لا تعرف كم أهواها .

- ولكن الصورة خالية من كلمة حب .

- حتى لا تجد ناهد دليلاً إذا داهمت المكتب وعثرت على الصورة .

مجرد صورة لامرأة ما ..

وأصبحت مستودع أسرار عبدالواحد .

قلت له : إعقل يا عبدالواحد .. تذكر بيتك وأولادك .

قال : إنها ليست نزوة كما قد تتصور ، لقد تمكنت سيثيا من قلبي ودمي وأعصابي وكياني كله . هذه أول مرة أواجه الحب بعد زواجي . إن الحب معركة رهيبية تحارب فيها وظهرك إلى الحائط ولا مفر في نهايتها من الاستسلام ، وقد استسلمت وانتهى الأمر .

- وناهد يا عبدالواحد ؟

- كانت قصة حب مدرسية .. بدأت بكلمات غزل من جانبي في شارع الجامعة . هددتني يوما باستدعاء الشرطة ولكنها لسوء حظي استدعت المأذون .

وتنهذ عبدالواحد ثم قال : إنني أكره العضلات في المرأة ، وناهد كلها عضلات ، وكل عضلاتها تتجمع في فمها . هذا شيء بغيفض مزعج . إنها تناقش كثيراً وتحلل كثيراً وتستنتج كثيراً ويعلو صوتها أكثر .. عندما كانت تقابلنا مشكلة كانت تقول لي : إنها سوف تصل إلى الحل السليم إذا لم أتدخل أنا بأفكاري .. حتى اخترت أن ألوذ بالصمت .. منذ سنين والصمت هو العملة المريحة التي أتعامل بها في البيت .. أين ناهد من سيثيا التي تتطلع نحوي دائماً بعينين حائيتين . كلما تحدثت إليها تقول لي : استمر في حديثك . أحب أن أسمعك . أحب صوتك . أحبك .

ومضى عبدالواحد يقول في نبرة ساخرة : تصور أن بنت الملوك هذه لا تخاطبني إلا بقولها : ماى لورد .. ياسيدى !

بعد عودة عبدالواحد من الخارج ، أسرعت حليلة الشغالة إلى سيدتها ناهد وبين أصبعيها فتلة شعر نسائية طويلة حمراء عثرت عليها بياقة معطف « البيه » نفس نوع الشعر . نفس اللون . نفس الطول . هل يمكن أن يكون هذا شعر جارتنا مدام أنطوان التي عادت إلى صبغه باللون الأحمر ؟؟

استطلعت ناهد رأى زوجتي فأفتت هدى أن شعر مدام أنطوان

قصير ، وأن طول فتلة الشعر المضبوطة يؤكد أن صاحبة الشعر راقصة ، وربما يكون شعر باروكة رخيصة لإحدى « الأرستقراطيات » المتواضعات ، وعرضت زوجتي أن تعطى الشعر المضبوط لشقيقها شوقى - وهو طبيب شرعى - غير أن هذه الفكرة لم تلق تشجيعاً مادام الطب الشرعى لم يجد اسم المرأة منقوشاً على شعرها .
وقال لى عبدالواحد : إنه ينبغي أن يكون أكثر حذراً وحرصاً وأن يتنبه لأى آثار تعلق بملابسه من روج وشعر قبل افتراقه عن ليدى تشسترتون لكنه أضاف قائلاً : إن الأمر أصبح لا يعنيه كثيراً ، فهو يفكر جدياً فى الزواج من ليدى تشسترتون .
وكررت على مسامعه تلك الاسطوانة بعنوان : اعقل يا عبدالواحد .



قالت لى زوجتى : إن ناهد بحثت واستقصت بمعرفة حليلة الشغالة ، وهى تكاد توقن الآن أن صاحبة الشعر الأحمر هى راقصة درجة ثالثة اسمها سنابل .

قلت لى : راقصة درجة ثالثة؟؟ كم هى بلهاء صديقتك ناهد . إن عبدالواحد هو معشوق ليدى تشسترتون سليلة البيت المالك الإنجليزى . وآه لو عرفت ناهد كم تحبه بنت الملوك .

ومضت زوجتى تقول : إن هذه الشعرات الحمراء تكاد تدفع ناهد إلى الجنون ، ولقد عرضت عليها حليلة الشغالة أن تأخذ هذه الشعرات الحمراء إلى الشيخ طنطش أشهر منجم بالقلعة ليعمل « عملاً » لصاحبة هذا الشعر يعود عليها « بالحنجل والمنجل والخراب المستعجل » وأوشكت ناهد أن تنفذ ما أشارت به حليلة الشغالة ، لولا أننى حدثتها تليفونياً عما قاله أخى الدكتور شوقى .

قلت لى زوجتى : وماذا قال أخوك ؟

- قال : إن الطبيب الشرعى يستطيع أن يحدد هل هذا الشعر من باروكة أم من شعر حى ، كما يمكنه أن يحدد وقت انفصال الشعرة عن فروة الرأس ، وإذا كان الشعر لمدام أنطوان العجوز المتصابية فهذا

سوف يسهل اكتشافه . . لأن الشعر - مع الشيخوخة - تظهر به فقايع هوائية ، وإن كانت لراقصة فسوف تعلق به مواد ناجمة عن كثافة دخان السجاير في الملهى الللى .

سرحت بخواطرى فىما قالتة زوجتى ، هذا تطور خطير فى قضية الشعر المضبوط . إن الدكتور شوقى يمكنه أن يحدد موعد لقاء عبدالواحد بحبيبته عندما يحدد الوقت الذى انفصلت فيه الشعرة عن رأس اللىدى تشسترتون ، ثم من يدرى ، ربما يصل الدكتور شوقى إلى تفاصيل أخرى تكشف العلاقة بين الاثنين وتعريها .

اتصلت فى اليوم التالى بالدكتور شوقى ، ورجوته أن يخرج بنتيجة مناسبة لفحص الشعر ، تصب الماء على البيت الذى تكاد تأتى عليه النار .

وكان شوقى رائعاً حقاً ، فأعلن أن الشعر الذى فحصه هو شعر حيوانى ، وبالتحديد مقطوع من ذيل حصان .

لقد أفضت هذه النتيجة الطيبة - شكلاً - إلى أن تقوم زوجتى باقناع ناهد بأن عبدالواحد قد وقع عليه ظلم فاحش ، وأنه كان نبيلاً فى صبره وقوة تحمله لما فعلته به ، واستجابت ناهد وقالت : إنها سوف تسعى إلى أن تحسن علاقتها به تدريجاً حتى تصالحه دون اعتذار منها حفظاً لكبريائها ، مع إغلاق ملف قضية الشعر الأحمر وعدم الخوض فيها مرة أخرى .



أسرعت فى الصباح إلى مكتب عبدالواحد لأشيد بالدكتور شوقى الذى استطاع أن يحول مجرى القضية لصالحه ، أن يزعم أن شعر لىدى تشسترتون من ذيل حصان .

امتقع وجه عبدالواحد وهو يقول كمن أصابته صاعقة : ماذا تقول ؟

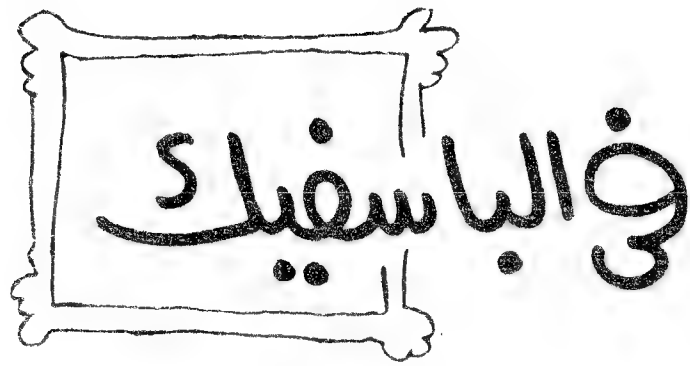
وسقط رأسه بين كفيه .

قلت له : ماذا بك يا عبدالواحد ؟

فرفع رأسه وهو يرد بسؤال آخر : متى حدث هذا كله ؟

قلت له : مساء أمس .
وغمغم كأنما يحدث نفسه : لقد أفسد شوقى كل شيء .
تحول الدهول إلى وجهى عندما قال عبدالواحد : إن الشعرات
الحمراء هى من ذيل حصان فعلاً ، وإنه ظل زمناً طويلاً يحول الأنظار
بهذه الشعرات عن المخلوقة التى تسلطت على كيانه وفشل تماماً فى
مقاومة حبها وحنانها ، وأن سفرياته إلى أوربا كانت كلها إلى بيت فى
شارع الممالك بالروضة حيث كان يلتقى بحليمة الشغالة التى أطلق
عليها - خجلاً منى - ليدى تشسترتون !





مازلت أذكر يا سيدى ذلك اليوم الذى دق فيه جرس التليفون فى بيتى لأجد صوتاً يقول : باسفيك سرفيس ؟ وحسب تعليمات زوجتى فاطمة أجبت المتكلم بالإنجليزية : جود أفترنن . . باسفيك سرفيس فى خدمتك ، وحسب تعليماتها أيضاً حركت قرص التليفون محدثاً تكتكة وكأننى سكرتير أوصل المتحدث برئيس العمل ، والتقطت فاطمة السهامة ورطنت باللكنة الأمريكية ثم مالبت أن قالت : طبعاً يا سيدى نحن نتكلم العربية باسفيك سرفيس فى خدمتك .

كان ذلك هو اليوم الأول لنشاط باسفيك سرفيس ، ومنذ ذلك اليوم وبيتى اسمه باسفيك سرفيس ، وبهذا الباسفيك سرفيس حققت فاطمة أمنيته فى إنشاء مكتب يؤدى للعملاء خدمات غير تقليدية ، وقد تعلقت بهذه الأمنية ونحن فى رحلة بأمرىكا ، إذ قرأت عن إعلان زواج نشر بإحدى الصحف وجاء فيه « شاب وسيم مليونير يرغب فى الزواج من فتاة يكون لها نفس أوصاف بطلة قصة الخريف لا يأتى غداً » . فى خلال ساعات نفذت كل نسخ القصة من السوق وحقق مكتب باسفيك سرفيس صاحب الإعلان ربحاً كبيراً له وللمؤلف ، فالأفكار الجديدة - كما تقول فاطمة - هى أقرب طريق إلى النجاح ، من هنا نقلت اسم المكتب الأمريكى « باسفيك سرفيس » إلى مشروعها الجديد ، وتم نشر الإعلان فى الصحف عن بداية نشاط باسفيك سرفيس .

ورغم أن فاطمة فسرت سبب تسمية المكتب باسفيك بأن الاسم

يعطى عظمة وفخامة وثقة فإننى وجدت هذا التفسير ضعيفاً ومتهافناً ، فاعترضت بشدة على هذا الاسم السخيف ، ولكن فاطمة لم تعلم بذلك ، إذ جاهرت باعتراضى أمام صديق مخلص لا ينقل الكلام ، كذلك أخفيت عن فاطمة استيائى من رفع سماعة التليفون والرد على العملاء بالانجليزية ، ولا أذكر ماذا قالت فاطمة تفسيراً لذلك ، ولكنى أيدتها تماماً فى وجوب الرد على التليفون بالانجليزية .

وميدان الأعمال ليس جديداً على فاطمة ، فقد بدأت حياتها العملية مصممة أزياء ، ثم خبيرة ديكور ، ثم تنظيم رحلات سياحية ، ولما رأت أن مالىتى قد أرهقت بسبب سدادى للديون التى تراكمت عليها قالت إنها قررت أن تعتمد على نفسها وتتجر فى الكلاب المدللة ، وتحول بدروم الفيلا إلى مستشفى لتوليد وتربية الكلاب .

ورغم الدخل الضئيل لهذه التجارة الجديدة ، فإن فاطمة كانت راضية وسعيدة جداً ، وربما لأن حمل الكلاب الصغيرة وتدليلها وإرضاعها أحياناً بالبيرون كان يشبع إحساسها المتعطش إلى الأمومة ، وكنت أقضى معها فى البدروم وقتاً طويلاً لرعاية « الأولاد » ، وهى قد رأت أننى قد استفدت من صحة الكلاب خصلاً طيبة ، فأصبحت ذكياً ، ووفياً أكثر ، وأسرع إليها لاهثاً عندما تنادى اسمى .

كان أفضل عملاء فاطمة هى مدام صابونجى التى تقتنى أربعة وثلاثين كلباً . وقد أبدت هذه السيدة رغبتها فى اقتناء كلب تشاوتشاو من السلالات الصينية ، وهو الكلب الوحيد بين فصائل الكلاب الذى ينفرد بسواد اللسان ، وعرضت مدام صابونجى ألفى جنيه ثمناً لهذا الكلب الأمر الذى حفز فاطمة إلى أن تعجل باتصالاتها للحصول على هذا الكلب . وعرفت أن هناك سمسار كلاب اسمه الدكتور محروس ، وأعطوها رقم تليفون مقهى يتردد عليه وتبين أنه حلاق كلاب سابق ، وبعد أسبوع صدق وعد الرجل وجاء بالتشاوتشاو وقبض مائتى جنيه وكسبت فاطمة ألفاً وثمانمائة جنيه !

لقد طارت مدام صابونجى فرحاً ، فقد كان الكلب جميلاً حقاً ، له طوق شعر كثيف حول الرقبة ، والشعر نفسه ذو ألوان متغيرة مع

الضوء . تشاوتشاو أصيل .. غير أن فرحة مدام صابونجي لم تدم طويلاً ، فقد بدأ الكلب يشيب . هل تشيب الكلاب ؟ أسرعته به المدام إلى الطبيب ، فاكشف أن الكلب من نوع اللولو الأبيض وليس تشاوتشاو ، ثم بإتقان قص شعره وصبغه بالألوان المتغيرة كما تم طلاء لسانه بحبر بلوبلاك !

كانت الصدمة قاسية فلزمت فاطمة الفراش . كانت تبكى وتعترها نوبات عصبية تتهمني فيها - كما يحدث في أعقاب فشل كل مشروع - بأنني السبب ، وأن طول عمري أريد أن أثبت أنها سيدة أعمال فاشلة . وفي كل مرة كنت أحتضن فاطمة وأهدىء من روعها وكانت تهدأ بذلك ، فهي تعرف أن كل اتهاماتها ظالمة ، وهي تعرف أيضاً أن حبي لها قد فاق كل تصور . وهل أتجاهل تضحياتها من أجلى ؟ هل أنسى بداية حياتنا وكيف أثبتت كل الفحوص أنني السبب في حرمانها من الأمومة ؟

عندما كانت فاطمة تهدأ تماماً كنت أسمع صوتها الدامع يهمس في أذني : أعذرني يا فاضل .. أنا لا أعرف ماذا أريد .. لكنني كنت أعرف ماذا تريد فاطمة : أن تكون أماً ، غير أن الألوان قد فات .

تعالى ننس كل همومنا يا فاطمة . سافرنا في رحلة حول العالم ، وفي أمريكا استهوتها فكرة مكتب الخدمات وولد مشروعها الجديد باسفيك سرفيس .

لقد بدأ باسفيك سرفيس يعمل في أداء الخدمات العادية ، لكن فاطمة استولى على اهتمامها عميل رأت فيه مجالاً مناسباً لتحقيق أفكارها الجديدة ، فهو فنان تشكيلي قال : إنه صاحب مدرسة جديدة في التصوير ، وأن الكل يعتبره مجنوناً ، وهو لا يجد سبيلاً إلى عرض إنتاجه الجديد والخروج إلى دائرة الأضواء .

- قالت : إن اسمك أحمد برهان ؟

- ومتخرج في كلية الفنون منذ عامين .

- هل تعرف الدكتور عبود ؟

- كان يدرس لى . إنه حمار كبير .
- كيف تقول عن أستاذ لك إنه حمار .
- فى رأى أن كل من يعيش على الأفكار الجاهزة التى ابتكرها السابقون
دون أن يبتدع شيئاً جديداً هو فى نظرى حمار . . هل الدكتور عبود
قريبك ؟

ترددت فاطمة ثم قالت : أجل .

قال : حمار .

أكد الدكتور عبود لفاطمة أن أحمد برهان فنان عبقرى ولكنه
لا يحسن تقديم نفسه بسبب غروره الذى يصل إلى حد الوقاحة ولهذا
يعتبرونه مجنوناً ، ولكن كل لوحة لهذا الولد فيها دائماً الجديد .
واتصلت فاطمة بأحمد برهان وحددت له موعداً ليحضر لوحاته .
فى تلك الليلة قالت لى : هل تعرف يا فاضل إن أروع لحظات
العمر عند المرأة هى لحظة ميلاد ، عندما تنشق منها بين آلام المخاض
حياة جديدة تطل على الوجود . لا يكفى أن تكون المرأة جميلة بل
ينبغى أن تكون نافعة أيضاً .

وتنهدت فاطمة تنهيدة احترق لها قلبى وهى تستطرد : من بطن المرأة
خرج عباقرة الدنيا الذين صنعوا الحضارة ، وأنا لم أنجب ، لكن
لو استطعت أن أساعد هذا الفنان فكأنى أعطيت الدنيا عبقرية ، غير أن
هذا ليس سهلاً إنه يحتاج إلى معاناة . آلام مخاض . هل تقف بجوارى
يا فاضل ؟

احتضنت فاطمة فى صمت .

عندما حضر الفنان أحمد برهان متأخراً عن مواعده أكثر من ساعة
كانت فاطمة مشغولة مع إحدى العميلات ، فتوليت مهمة استقباله .
شاب فى منتصف العشرينات . طويل القامة . نحيل . على وجهه
تعبير اشمئزازى فطرى ، وفى نظره الكثير من التعالى خصوصاً عندما
ينظر نحوى . وضع لوحاته بعناية ثم قال : أبلغ المدام أننى هنا .
- المدام سوف تأتى حالاً .

- هل أنت السكرتير أم الخادم ؟

ابتسمت وأنا أتغاضى عن رد السؤال ، ويبدو أنه عرف من تلقاء نفسه إن كنت الخادم أم السكرتير ، إذ قال لى : هات لى فنجان قهوة سادة .

- القهوة ستأتى حالاً .

ضغطت الجرس وظللت محتفظاً بابتسامتى ، فإن الاحتكاك اليومى بالأصدقاء والأقارب والزملاء قد أكسبني خبرة فى التعامل مع المضطربين عقلياً .

جاءت فاطمة وخرجنا إلى الشرفة الخارجية المطلة على الحديقة لنرى اللوحات فى ضوء الشمس ، ووضع أحمد برهان اللوحة الأولى على منصدة ملاصقة للحائط ، ودعانا إلى أن نتراجع خلفاً لكى نتذوقها . ماذا نتذوق؟؟ لقد كانت اللوحة كلها مطلية بلون أسود يميل إلى الزرقة . ونظرت إلى فاطمة مشفقاً عليها من الصدمة ، ولكنها كانت منصرفة إلى اللوحة باهتمام وأحمد برهان يشرح قائلاً : هذه اللوحة تمثل قافلة جمال فى الصحراء ، ونحن لا نستطيع أن نرى الجمال طبعاً لأن الليلة كانت حالكة الظلام ، غير أننا يمكننا أن نرى الجمال بشيء من تركيز الإدراك والنظر .

قلت له : ولكنى لا أرى جمالاً .

قال فى نبرة يشع منها الضيق : ركز وسوف تراها . لاحظت حيرة على وجه فاطمة . هل هى بوادى خيبة أمل تتجمع فوق وجهها؟

قلت محاولاً أن أخفف عنها : لو أشعلنا عود كبريت بجوار اللوحة ربما أضأنا الصحراء ورأينا قافلة الجمال .

لم يضحك أحد . وتجنبت أن أنظر إلى أحمد برهان . ويبدو أننى قد تجاوزت حدودى ، إذ قالت فاطمة وهى لا تحول نظرها عن اللوحة : - ركز يا فاضل .

اقتربت كثيراً من اللوحة لكننى لم أر شيئاً ، بينما استمرت فاطمة تتفرس فى اللوحة إلى أن سمعتها تصيح : فانتاستيك ! إننى أرى الكرافان . . هذه هى الجمال تسير فى الظلام . . هل تراها يا فاضل ؟

اقتربت بعيني من اللوحة حتى كاد وجهي يلتصق بها ، وخطر ببالي أن أقترح على فاطمة احضار نظارة القراءة من الداخل ، ولكنى عدلت ، فماذا يضيرني أن أقول اننى أرى فعلاً قافلة الجمال وفي آخرها تيس .

ولكن أحمد برهان قال في قرف : أنا لم أرسم تيساً .
وقالت فاطمة : ليس في اللوحة تيس .

ندمت على ما قلت ، ورحت أتفرس في اللوحة مرة أخرى ، وفي رغبة مغلصة حاولت أن أعثر عبثاً على جمل واحد ، وأخيراً التفت نحو فاطمة وقلت : فعلاً . . . ليس في اللوحة تيس .

جاء الدكتور عبود بينما كان أحمد برهان يضع اللوحة الثانية للعرض ، وكانت اللوحة كلها أيضاً مطلية باللون الأصفر وفي أعلاها ثلاثة خطوط رمادية متوازية ، باهتة لا تكاد تبين . غير أن الدكتور عبود اقترب من اللوحة الأولى السوداء ثم قال : رائع !
قلت له بنبرة إعجاب : سيادتكم تستطيع أن ترى قافلة الجمال وهي تسير في الصحراء المظلمة . أنظر إلى خطوة الجمال الرشيقة . .
هز رأسه : رائع !

هل الرجل يجد أم يهزل؟؟ هل حقاً يرى قافلة جمال؟؟
ولم أعد في حاجة لهذه الأسئلة بعد أن قال لأحمد برهان إن الألوان المستعملة في الجمال ذكية جداً . وقال الدكتور عبود إنه يفخر بأن أحمد برهان تلميذه ، وإنه رائد وصاحب مدرسة جديدة هي المدرسة التركيزية ، وأفاض في الحديث عن أحمد برهان .

أعدت فاطمة ميزانية باهظة للدعاية للمعرض واستئجار قاعة العرض بالفندق الكبير ، وإقامة حفل شاي ، وهي تأمل - مقابل هذه النفقات - أن تباع نصف اللوحات لحسابها . ورغم أنى على يقين من أن أملها في بيع اللوحات هو أمل إبليس في الجنة ، فإننى لم أتأخر عنها ، فقد أسرع لأعرض قطعة أرض للبيع وأنا غير آسف على مالى . ففاطمة تستحق التضحية من أجلها .

اتصلت سراً بجارنا الدكتور عاطف ، وهو رجل قانون جاف

الطباع ، ولا يعرف المجاملة ولا يقول إلا الحقيقة . قلت له إننى أريده فى أمر هام .

تسللت إلى منزله باللوحة المطلية بالأسود وقلت له بعد أن وضعتها أمامه : ما هذه ؟

قال كمن يخمن : هذه سبورة ؟؟

قلت : لا يا دكتور . أنظر جيداً هذه قافلة جمال تسير فى ليلة حالكة الظلام . هل تستطيع أن ترى الجمال ؟

واقرب عاطف بنظره وأنا أقول له : ركز من فضلك حتى ترى كل شىء .

تراجع عاطف وهو يقول : لا أرى شيئاً .

- بل لا بد أن ترى وتعترف أمامى أن هذه اللوحة فيها قافلة جمال حتى أستريح .

- أعترف ؟! ماذا جرى لك ؟

أثارت كلمة « تعترف » غضب الدكتور عاطف ، ولست أدري كيف تطور الأمر إلى مشادة ، ثم انتهى الموقف نهاية مؤسفة بأن أشار نحو باب الخروج قائلاً : اتفضل .



جاء السيد الوزير وافتتح معرض الفنان التركيزى أحمد برهان ، كان هناك حشد كبير من علية القوم وهواة الفن وسيدات النادى .

لقد بيعت اللوحات جميعها . لوحات ليس فيها رسوم ، ولكنها مطلية بلون واحد الأصفر أو الأخضر أو الأسود .

هل أنا مجنون أم كل هؤلاء مجانين . لا يمكن مثلاً أن تكون السيدة التى اشترت اللوحة السوداء مجنونة لكنى تدفع فيها خمسمائة جنيه ، فهى سيدة مثزنة وترأس جمعية نسائية وتقتنى لوحات رفيعة المستوى ، ولا بد أنها رأت قافلة الجمال فى اللوحة .

لقد نجحت فاطمة وأنجبت عبقرياً . الآن هى تشعر أنها امرأة جميلة ونافعة أيضاً . الحمد لله .

أقمنا حفلاً في الفيلا بهذه المناسبة ، وفي منتصف الليل تسللت إلى منزل جارى الدكتور عاطف ، وعندما فتح لى الباب قلت له إن اللوحة فيها قافلة جمال ، فصفق الباب فى وجهى وهو ينعتنى بالسكران . رجوته أن يفتح الباب لكى أناقشه ، وظللت أدق جرس الباب حتى جاءت شرطة النجدة وأمسكت بى .

هل أنا مجنون عندما حاولت أن أؤكد له أن اللوحة فيها قافلة جمال تمشى ؟ إن المجنون ياسيدى وكيل النيابة هو من يخرج عن إجماع المجتمع ، والمجتمع شاهد الجمال وهى تمشى فى ظلام الصحراء .. فلماذا أصدرت قراراً بالكشف عن قواى العقلية ؟





كان الزهو يملؤنى وسميحة تحديق فى الصورة التى ضبطتها بين أوراقى . الفتاة فى الصورة - كلوديت - جميلة حقاً ، بينما أنا أقف إلى جوارها أنظر إليها فى بلاهة واستسلام كما لو كنت زوجها . ودون أن أدرى ، لم تترك سميحة بعد ذلك مكاناً به أوراق إلا وفتشته ، حتى عثرت على بطاقة فوقها هذه السطور بالفرنسية : « سنة جديدة سعيدة أتمنى أن ألتقى بك فيها . هل شعرك المغولى لا يزال حالك السواد ؟ أم دب فيه الشيب ؟ وهل لا تزال تصفر بفمك لحن أزنافور إني أنتظرك ؟ الإمضاء كلوديت » .

كانت هذه الصورة وتلك البطاقة هما نقطة تحول حقيقية فى مسلك سميحة العاطفى . لقد زایلها ذلك التعالى الذى كانت تعتمد إليه ، وسرى دفء فى كلماتها ، وتغيرت بالتأكيد نظرتها إلى كإنسان مقطوع الصلة بخبرات الحياة اكتفاء بحمل ثلاث درجات دكتوراه .

غير أنها لم تسارع بالسؤال عن تفاصيل علاقتى بكلوديت ، بل حاولت جهداً أن يبدو ذلك مصادفة ، وشيئاً فشيئاً أفضيت لسميحة بما كان بينى وبين كلوديت ونحن زميلان فى جامعة باريس ، وقد أسعدنى كثيراً أننى أثرت غيرتها ، الأمر الذى حفزنى إلى أن أرضى فضولها بمزيد من التفاصيل ، وكيف أصبحت كلوديت خطيبتى تحت ضغط حبها المجنون لى .

وبدأ تدخل « أونكل » سليمان قريب سميحة .

وأونكل سليمان - كما تناديه زوجتى - رجل تجاوز الخامسة والستين ،

تفرغ تماماً - منذ إحالته إلى المعاش - لأعمال التنجيم ومسار الكواكب في
البروج وقراءة الطالع والكف وفتح المندل والتنويم ، ثم بين يوم وليلة
أصبح رئيس مجلس إدارة الجمعية الروحية العالمية وتحت هذه اللافتة
وضع عبارة اسمها : بإذن خاص من جلالة الملك شارل . شارل من ؟
وملك أى بلد ؟ لا أحد يدرى . فمن العسير مناقشته ، إذ سرعان
ما يتهمك بالجهل .

وعندما قال لى « أونكل » سليمان إنه عينى عضو مجلس إدارة
بالجمعية الروحية العالمية وطالبنى بدفع مائة جنيه اشتراك اعتذرت له
بأدب ، إننى لا أريد هذه العضوية ، ولم أكن أدرى أنه أصبح على صلة
يومية بسميحة التى أوكلت إليه مهمة معرفة حقيقة عواطفى نحوها حتى
عدت يوماً من الكلية لأجد سميحة تبكى لأن كوكب المشتري بدأ
يدخل فى برج الحوت ، وتلك مصيبة كبرى ، ولماذا هى مصيبة كبرى
يا سميحة ؟ لأن كراهيتك لى سوف تصل ذروتها يا عمر ، طيب
خاطرها كثيراً وأكدت لها أنها حبي الوحيد فى هذه الدنيا ، لكنى
فوجئت بأن ذلك الرجل سليمان قد سمم أفكارها بحساباته الفلكية
وقراءة خطوط كفها ، وقد تبرعت سميحة لجمعية الروحية بمائة جنيه
فبذل فى فلكياته جهداً مضاعفاً ، وصارحها بأن عليها أن تتوقع
مستقبلاً كثيباً معى ، إذ من الواضح أننى سوف أفر منها إلى باريس
وأتزوج من كلوديت .

قلت لها : ولكن كلوديت ماتت .

قالت : ماذا تقول ؟

قلت : البقية فى حياتك .

تهلل وجه سميحة بفرحة غامرة ، واستعادت هدوءها يوماً وبعض
يوم ، ثم عادت إليها الأحزان لأن كلوديت لن تخرج من قلبى إلى
الأبد ، فالإنسان عندما يموت حبيب له والحب فى الذروة يصبح
النسيان أمراً مستحيلاً .



استيقظت سميحة من نومها مذعورة ، فصحوت لأجدها تضىء

النور وهى بالغة الاضطراب ، ولم أكن فى حاجة إلى أن أعرف أنها رأت فى نومها كالعادة خطيبتى السابقة كلوديت ، وأن الكابوس كان مرعباً ورهيباً ، فهى مرة تعدو خلف سميحة وتضرم النار تحت قدميها ، ومرة تخنقها بحبل ، ومرة تهوى بالسوط على قدمها ، ثم تطورت أحلام سميحة لتكشف عن جوانب مثيرة فى شخصية كلوديت كنت أجهلها تماماً ، فقد انتفضت سميحة من نومها مذعورة لتقول لى : إن كلوديت كانت تطاردها بطائرة !

أفقت على هذا الخبر الغريب بعد أن كنت أحدى فيها نصف نائم :
- طائرة؟؟

- ومدفع رشاش .. تصور !

وبكت سميحة ليداهمنى احساس بالأسف أن تتحول تلك الفتاة الوادعة المثقفة كلوديت إلى واحدة من المافيا وتشن مثل هذه الغارات الدموية على زوجتى أثناء النوم . ويبدو أن كلوديت قد اكتشفت أن الطائرة كانت غير مجدية فتعقبت سميحة فى حلمها التالى بسيارة راحت تصعد خلفها فوق الأرصفة . وأبدت لزوجتى مزيداً من الأسف على هذا المسلك الشائن وضربت كفاً بكف لأن كلوديت تقود سيارة بهذا الجنون رغم أنها قتلت فى حادث سيارة . لكن هكذا الإنسان .. لا يتعظ أبداً .

والواقع أننى كنت شديد الحيرة فى حقيقة تلك الأحلام المزعجة التى تزعم زوجتى رؤيتها ، فاستعنت بالعالم النفسى الكبير الدكتور أنسى زمبلى فى الجامعة . وأدهشنى أنه قال - بعيداً عن سميحة - إنها لا تبالغ . فكل إنسان فى حياته شبح . وقد أصبح شبح حياتها اسمه كلوديت . إن هذا الشبح يظهر لها مع كل مؤثر خارجى أثناء النوم ، فقربة الماء الساخن تحت أقدامها فى الفراش هى التى جعلتها ترى كلوديت ترش الأرض بالنار والبنزين تحت قدميها ، وصوت « فرملة » يترامى إلى سمعها وهى نائمة يتحول إلى سيارة تطاردها فى الحلم ، وإذا أصيبت قدمها بتقلص عضلى مؤلم فكلوديت تضربها بالسوط ، وإذا طنت بعوضة فوق أنفها فالحلم يصورها طائرة بمدفع رشاش !

غير أن سميحة لم تستجب إطلاقاً للعلاج اقتناعاً منها بأن تخلصها من هذه الكوابيس لن يتم إلا على يد أونكل سليمان الذى جعلها مجنونة بعالم الأرواح . فمئذ أن عرف أن كلوديت قد مات أكد لها أن علاجها أصبح مضموناً ، كما باتت سميحة تتحرق شوقاً إلى تحضير روح كلوديت لتسألها هل أنا لا أزال أحبها أم لا ؟

احتوتنا غرفة مظلمة فى بيت سليمان ، وراح هو ومساعدته يقومان بإجراءات غامضة لم نفهم منها شيئاً ، ثم قال سليمان : هل حضرت الأنسة كلوديت ريشارديكار ؟ وأعلن المساعد أن الذى حضر هو جراهام بل ، فانطلق سليمان يرحب بهذه الفرصة السعيدة التى تجمعنا بالمستر جراهام بل مخترع التليفون ، ثم استأذنه فى أن يستفسر منه عن خلل فى تليفون صديق له اسمه لطفى ، وكيف حار المهندسون فى أمر هذا التليفون ، إذ كلما يرفع لطفى السماعة فإنه يسمع إذاعة الـ بى . بى . سى ، وبعد مجهود جبار ووساطات مع السنترال تم إصلاح التليفون وأصبح لطفى يرفع السماعة فيسمع إذاعة صوت العرب . غير أن المستر جراهام بل ، لم يدل بكلمة واحدة مفيدة حول الخلل فى هذا التليفون الإذاعى ، ثم تبين أن المستر بل ليس هو الكسندر جراهام بل مخترع التليفون ، ولكنه جراهام ماكدونالد بل حلاق اسكتلندى . وقال الحلاق الاسكتلندى إنه قد تم اعدامه بمقتضى القانون الذى أصدره الملك هنرى والذى يقضى بإعدام أى حلاق يباشر عمله ورائحة البصل تفوح من فمه .

لقد دهشت حقاً للحوار الذى دار بين سليمان وبين جراهام ماكدونالد بل ، فقد أبدى هذا الحلاق أسفاً شديداً لوجودى بين الجالسين ، وذكرنى بالاسم فقال : إن الدكتور عمر وصفى الجالس بينكم الآن شرير يستحق اللعنة . حاولت أن أسأل عن السبب لكن سليمان أسكتنى ، ومرت دقائق قبل أن يعلن المساعد عن حضور الأنسة كلوديت . . فسألها سليمان : هل تعرفين أحداً من الجالسين بيننا ؟ وعلى الضوء الخافت تحرك المساعد بوقع خطوات خاصة وهو يتجه نحوى ، ومد ذراعيه ووضعهما على كتفى . كان شيئاً لا يطاق ،

إذ فاحت من فمه رائحة بصل مميتة . ثم سأها سليمان : هل أنت مستعدة للأسئلة يا آنسة كلوديت ؟؟ وجاء الرد بأنها مستعدة تماماً . إن كلوديت التي يزعم أن روحها قد حضرت لاتزال على قيد الحياة ولم تمت ، بل هي الآن واحدة من أبرز علماء البكتريولوجى ، وليس صحيحاً أن غراماً ربط بينى وبينها ذات يوم ، الصحيح أنها كانت تعتبرنى زميلاً وكنت أنا أعتبرها حبيبة . لقد كان حلم حياتى أن تكون كلوديت زوجتى . كانت تستهوينى بجملها الوداع وعينيها الصافيتين . وكنت جباناً مثلما كنت طول عمرى مع الجنس الآخر ، فلم أجروء أبداً أن أبوح لها بحبى ، حتى صحت ذات يوم لأكتشف أنها غارقة فى حب زميل آخر . وضاع الأمل . وعندما عثرت سميحة على صورتها معى وجدتني أتحادث عنها مسحوراً ، ثم لم أجده بداً من أن أقول لزوجتى إن كلوديت قد ماتت فى حادث ، فالمؤلف الفاشل يقتل أبطاله دائماً ليتخلص من حل العقدة .

لكننى لا أنكر أن هذه الكذبة أسعدتني كثيراً . لقد كانت لى فلسفة فى الكذب الأبيض . إن كذبة بيضاء قد تسعد الإنسان ، قد ترد له ثقة ضائعة بنفسه ، وقد تحقق له حلماً فى خياله فاته أن يحققه فى عالم الواقع . إن عظماء كثيرين يكتبون قصص حياتهم ويرصعونها بالكاذب . إننى لا أسميها أكاذيب . بل هى أمانى وأحلام عز عليهم تحقيقها .

هل أخطأت عندما وجدت الفرصة لأجعل سميحة تحبني وتكف عن أن تعيرنى بأنى فأر كتب ، وأنى ضعيف الصلة بخبرات الحياة ؟ هل أخطأت عندما نجحت فى أن أصحح شخصيتى فى عينيها ؟ هل أخطأت عندما خلقت فى حياتها شبحاً يدفعها إلى أن تغار علىّ بجنون ؟ كلا . لم أخطئ ، لولا هذه المشكلة التى أصبحت تواجهها فى نومها ، ولو تحقق شفاء سميحة من هذه الكوابيس التى حطمت أعصابها فسوف تتم سعادى حقاً . إن كلوديت لم تعد تهمنى أبداً . سميحة فقط هى المرأة الوحيدة التى تهمنى كثيراً . . إنها المرأة الوحيدة التى أحببته ، فلم أعرف فى حياتى امرأة غيرها بادلتنى الحب .

أفقت من خواطري على صوت سليمان يعلن أنه سوف يستأنف
الجلسة غداً لأن الأنسة كلوديت ريشار ديكار مضت فجأة وتركت
المكان .



في اليوم التالي فوجئت بسليمان يزورني بمكتبي بالكلية ، كان ودوداً
للغاية على غير عادته ، قال لي إنه أثر أمس أن تنصرف كلوديت لأن
المشكلة سوف تزداد تعقيداً ، لكنه طمأنني بأنه سوف يحاول الليلة
« السيطرة » على الموقف ، ولديه خطة لكي تقول كلوديت كلاماً طيباً
وتحل مشكلة سميحة . ثم انتقل إلى الحديث عن مهمة تنتظره في
الشهر القادم ، إذ سيعقد مؤتمر سياسي دولي روعي يعتبر الأول من
نوعه ، فالمؤتمر سوف يضم عباقرة السياسة في التاريخ : السياسي
الفرنسي تاليران ، والنمساوي مترنخ ، والألماني بسمارك ، والهندي
نهررو ، والأمريكي جورج واشنطن ، والصيني ماوتسى تونج .
نظرت إلى الرجل فوجدته جاداً لا يهزل وهو يواصل قائلاً : إن
توصيات هؤلاء الساسة الفطاحل سوف تحل مشاكل العالم المعاصر
وسيكون لهذا المؤتمر صدى دولي كبير ، لكن المشكلة أن المؤتمر يحتاج إلى
تمويل ، وهو قد جمع حتى الآن من المتبرعين سبعمائة جنيه فقط .
وعلى الفور أخرجت دفتر الشيكات وتبرعت بمائتي جنيه .



عقدت الجلسة في اليوم التالي فجاء الحلاق الاسكتلندي جراهام
ماكدونالد بل واعتذر عما بدر منه في حقى ، ثم حضرت الملكة شجرة
الدر وخاطبت سميحة زوجتى . واتضح أن جلالتها تعرفنى ، فقد
قالت لسميحة أن الدكتور عمر وصفى رجل عظيم فحافظى عليه لأنه
جوهرة نادرة ولا تهميه بتهم باطلة ، وردت سميحة بناء على تلقين
أونكل سليمان : سمعاً وطاعة يا مولاتى ، وأخيراً حضرت الأنسة
كلوديت وقالت : يا سميحة اسمعيني جيداً . . الدكتور عمر يحبك كما
لم يحبك أحد فلا تغامرى بسعادتك معه . ونفت كلوديت أنها تطارد
سميحة في النوم وأبدت لها الود والحب وأكدت أنها سوف تنام نوماً

هادئاً ، وقد أصرت سميحة على أن تسألها : هل تعتقدين أن عمر
لا يزال يحبك ؟

قالت كلوديت : بل لا أخطر على باله أبداً .

انتهت المشكلة وتنفس الصعداء ومضت أيام وراء أيام وسميحة
تنعم بنوم هادئ عميق . الحمد لله .

هل صحت نظريتي : أن الكذبة البيضاء يمكن أن تسعد إنساناً ؟
لقد كنت أجلس في الحديقة مع سميحة نتبادل أحلى كلمات الحب
عندما جاءنا الخادم ببرقية تقول :

أصل إلى مطار القاهرة العاشرة صباح الأحد القادم : إمضاء :
كلوديت ريشار ديكار .

ولا أزال في المستشفى أدعى الغيبوبة .





مهجة هانم هي حماق العريزة .
ولأن أبى - سعادة السفير - علمنى الكثير ، فإنى أجد الإنصات إلى
مهجة هانم ، وأجتهد فى أن تكون ملاحى مريجة وهادئة مهيا كان الذى
تقوله مزعجاً ، ولا أسمح لنفسى أن أقاطعها إلا إذا توقفت هى عن
الحديث لسبب خارج عن إرادتها كالنعاس . وهى عندما تسألنى الرأى
أطرق برأسى ثم أتكلم دون أن أقول شيئاً ، فقد علمنى أبى أن من
الرأى ما قتل .

ومهجة هانم ليست امرأة عادية ، فهى زعيمة نسائية تؤرقها قضايا
المرأة فى مواجهة طغيان الرجل ، وهى تؤلف الكتب ، وتكتب
الأبحاث ، وتلقى المحاضرات ، وتعى تاريخ النضال النسائى ابتداء
من صيحة مارى ولستونكرافت فى القرن التاسع عشر بإثبات حقوق
المرأة ، حتى صيحة زعيمات السويد فى القرن العشرين بأن يتبادل
الرجل والمرأة الأدوار ، فتخرج هى للعمل وكسب الرزق ويبقى هوى
البيت يرعى الأولاد يطبخ ويكنس ويغسل ويمسح الباركيه ، وفى هذا
الشأن تتبادل مهجة هانم الآراء والمقترحات مع صديقتها السويدية
مدام هولف .

ولعل من حسن حظى أن مهجة هانم هى التى اختارتنى زوجاً
لابنتها شيرين ، وهى فى ذلك تحكى كيف رأتنى فى حفل بالجامعة ،
وتوسمت فى شخصى صفات الزوج المثالى . ودعتنى إلى فنجان شاي فى
دارها ، وفى اللحظة التى التقيت فيها بشيرين ، وقعنا معاً فى شرك

الهوى من أول نظرة ، غير أن شيرين حذرتني من إغضاب والدتها مهجة هانم ، فالحب الكبير الذى ربط بين شقيقتها نازك وزوجها يوسف أصبح غير ذى نفع عندما تمرد يوسف على مهجة هانم ، فانتهزت أول خلاف بينه وبين نازك ونفخت فى النار واشتعل حريق أصبح من المتعذر إخماده ، وانتهى الأمر بعريضة دعوى تطلب فيها نازك الطلاق ، لأن يوسف متوحش يسىء معاملتها .

غير أنى نجحت فى أن أكون أثيراً عند حماق ، فهى تحب كثيراً مجالستى ، وهى تشرفنى بين وقت وآخر بالإقامة عندى حيث يروق لها أن تعد أبحاثها ومحاضراتها ، وأصبح الطابق الثالث فى الفيلا مخصصاً لها ، أما الرباط الوثيق الذى أحكم الصلة بينى وبين مهجة هانم فكانت فطيرة البطاطس ، وهى فطيرة من ابتكارها ، يمتزج فيها معجون الدقيق بمعجون البطاطس بمعجون البيض بمعجون لحم اللانشون بمعاجين أخرى مجهولة ومقادير من السكر والفسق المبشور ، وقد كانت هذه الفطيرة السبب المباشر والقوى فى سوء العلاقة بين مهجة هانم ويوسف ، إذ اقترح عليها مرة مازحاً أن تضع « لحمة رأس » بدلاً من لحم اللانشون ، وتم الصلح بينهما بصعوبة بعد هذه السقطة من جانبه ، ثم اكتشفت مهجة هانم فيما بعد أن يوسف كان يساوم الخادم سراً على أكل الفطيرة بدلاً منه ، لكن الخادم طالب بحوافز مالية .

من جانبى أدركت مدى اعتزاز مهجة هانم بهذه الفطيرة وهى تقول : إنها توصلت إلى مكوناتها بعد دراسة عملية ، ولو كان المرحوم منصور بك زوجها الراحل حرص على أكلها لعاش إلى سن المائة ، لكنه كان عنيداً وعصبياً ومستبداً ويرفض أكل الفطيرة ، وهى تذكر يوم دخلت تعد له الفطيرة فى عيد زواجهما وفاحت رائحتها فى أنحاء البيت ، وعندما شم الرائحة وصاح من غرفته : ماذا تفعلين يا مهجة ، أسرعت إليه لتقنعه بأكل الفطيرة فوجدته قد مات بالسكتة .

وهى فى هذه المناسبة تؤكد أن قصر عمر الرجل يعود إلى قسوة

القلب وعنف الطبع ونزعة الاستبداد ، فالمستبد دائماً متوتر ، تتتابه حالات الغضب المستيرى لغير ما سبب ، ولقد كانت تلح على منصور بك أن يأكل الفطيرة لأنها كانت تضع له فيها عقاراً مهدئاً للأعصاب ، غير أنه ما يكاد يشم رائحة الفطيرة حتى يتقمصه ألف عفريت . لقد نجحت في أن أجعل مهجة هانم في ذروة الزهو بالنفس وأنا أرفع من قدر هذه الفطيرة بالإطراء المستمر وتسليط الضوء بين حين وآخر على جانب جديد من مزايا الفطيرة . وهي قد جاءت تستطلع رأيي في أن الفطيرة ينقصها عنصر الفوسفور . . ألا يكون من الأفضل استبعاد معجون لحم اللانشون وإضافة معجون سمك التونة بدلاً منه ، سمك تونة بالفستق المبشور والسكر ؟ رحبت بالفكرة متحمساً ، واستقر رأيها على التنويع : مرة باللانشون ومرة بالتونة . هكذا صارت الفطيرة شغلها الشاغل ، وأصبحت أنا المشجع الأول وحقل التجارب . لقد رددت اعتبار مهجة هانم التي اهتمها منصور بك - كما علمت - أنها لا تصلح ست بيت وأنها تجهل أبسط مبادئ الطهو : طبق البيض المقل ، وهذه الفطيرة كانت إنجازها الوحيد في عالم المطبخ ، لكن منصور بك لم يرحب بتلك المحاولة الأولى فتوقفت عندها .

واشتهرت بأنني صاحب المكانة الأولى والخاصة عند مهجة هانم . المرأة الخارقة كما يسميها يوسف ، والمرأة الفولاذية ذات الكلمة العليا والأخيرة في الأسرة التي تضم طابوراً طويلاً من الرجال العظام أصحاب المناصب الكبيرة المؤثرة . ولن أنسى يوم جاء الدكتور أدهم الشقيق الأكبر لمهجة هانم كي يتوسط في أمر يوسف ، فقالت له إن حكاية يوسف ليست مشكلة فردية ، بل هي قضية عامة . قضية استبداد الرجل وتنكيله بالمرأة ، وتحليلها عن هذه القضية خيانة لنساء الأرض جميعاً ، وانتهى الأمر بالدكتور أدهم الذي يحتل منصباً من مناصب صنع الرأي والقرار إلى أن يستسلم صامتاً ، ثم انتحى بي جانباً يطلب تدخل في الموضوع لما أتمتع به من حظوة لديها ، فأطرقت برأسي قليلاً ثم قلت له : أرجو أن تكون النتائج مثمرة وبناءة .

ويبدو أنه نصح يوسف بطلب وساطتي فزارني في المكتب وعرض قضيته بمنتهى الأمانة : غير صحيح أنه ضرب نازك . كل ما حدث أن تقلصاً عضلياً أصاب قدمها فصرخت تتألم ، وفيما هو يطلب إليها أن تخفض صوتها كان الخادم يرفع سماعة التليفون ليرد على مهجة هانم التي ترامي إليها صوت يوسف ينهر نازك وهي تصرخ ، وعندما أمسك بقدمها ليدلكها حتى يزيل تقلص العضلة اشتد صراخها ، ولا يدرى كيف تطور الأمر من جانبها إلى مشادة وهو يحاول مساعدتها . وانتهى يوسف من روايته واستعد لسماع رأيي ، فأطرقت برأسي أفكر ثم قلت له : إنني أرجو أن تكون النتائج مثمرة وبناءة .

مع الضغط من جانب رجال الأسرة لكي أتدخل ، بدأت أفكر في أن أمهد لعملية « اقتراب » من الموضوع مع مهجة هانم ، لكنني لم أضع في هذه النية أبداً موضع التنفيذ .

كنت أجتمع مع مهجة هانم في الطابق العلوى للفيلا ثم أهبط إلى قاعة الاستقبال في الدور الأرضي لأقول لرجال الأسرة أرجو أن تكون النتائج مثمرة وبناءة . لم يخطر ببال أحد منهم أن الاجتماع كان بشأن الفطيرة التي أصبحت تسيطر على تفكير مهجة هانم .

وبدا لي واضحاً أن تدخل في مشكلة يوسف مغامرة غير محسوبة وحاقة لا مبرر لها ، إذ جاءتني مهجة هانم متهللة الوجه تعلن أنها ستقدم صور يوسف إلى المحكمة للتأكيد على أنه متوحش ، فقد قام صديق لها من علماء الأنثروبولوجي بدراسة صور يوسف ورأى أنه ينتمي - شكلاً - إلى نمط ارتدادى من البشر هو الإنسان البدائي الأول ، فإن جبهته شديدة الانحدار ، وعظام فكه بارزة ، وشعر حاجبيه كثيف . وسألتني مهجة هانم : ما رأيك في ضم هذه الصور إلى ملف الدعوى ؟ قلت لها أرجو أن تكون النتائج مثمرة وبناءة .

كان الدكتور أدهم يبدي إعجابه البالغ بي ، بينما مهجة هانم تسوى لنا فطيرة على النار . كان الرجل مبهوراً حقاً لا يصدق أن اخته عدوة الرجال يمكن أن تكون سلسلة القياد معي إلى هذا الحد المذهل . قال همساً : هناك امرأة تولد وهي تحسد الرجل على تفوقه ومكانته وتعتبر

دورها في الحياة مدعاة للإهانة والمذلة . . يقول علماء النفس : إن مثل هذه المرأة كانت تتمنى أن تولد رجلاً ، وهي إذا تزوجت حرصت أن تسيطر على زوجها وتتسلط عليه ، لكن منصور كان قوياً فلم تتمكن منه مهجة .

وواصل همسه في نبرة مرحة : هل تصدق أن مهجة كانت تضربني في طفولتها أنا شقيقها الأكبر لأنها كانت تصر على أن تأخذ مكانى وأن ينادوها يا أدهم وينادوني أنا يا مهجة .

ضحك الرجل وضحكت ، وبينما كان يرجونى لكى أتدخل وأنهى مشكلة يوسف فاحت رائحة الفطيرة ، فنبحت كل كلاب المنطقة ، لقد أصبح نباح الكلاب مقترناً برائحة الفطيرة ، وكان تعليق مهجة هانم الذي تردده لى ضاحكة : لست وحدك الذي يحب فطيرى بل الكلاب جميعاً . .

جاءت مهجة هانم بالفطيرة وقطعت جانباً منها للدكتور أدهم ، لكنه كان يحتفظ بروشته الطيب التي أبرزها لإعفائه من أكل الفطيرة فهو يعانى اضطراباً في القولون .

واشتدت من حولى الضغوط لكى أتدخل وأنهى مشكلة يوسف الذى بدأ يتعجل الأمور متبرماً بعبارة أرجو أن تكون النتائج مثمرة وبناءة . ولقد علمنى أبى - سعادة السفير - أن أغامر بحساب حتى أحتفظ لنفسى بطريق للنجاة .

وغامرت . فاتحت مهجة هانم وقلت لها : إن القضية تؤجل لصالح يوسف لأن دليلاً لا ينهض على أنه قد ألحق بنازك إيذاء بدنياً . إنه متوحش أعرف ذلك يا سيدتى . . فلماذا لا نعطيه حبلاً يشنق به نفسه . لماذا لا نتيح له فرصة العودة إلى نازك حتى يترك على بدنيتها أثاراً لوحشيتها من كدمات وسحجات فنودعه السجن . أما الآن ، ونازك لا تملك دليلاً على وحشيتها ، فكم أخشى أن نخسر دعوى الطلاق ويكسب هو دعوى الطاعة .

لانت مهجة هانم ببطء ثم قبلت الفكرة ، وأصبحت - فى الأسرة - أتخذ صورة الرجل المعجزة الذى يوجه مهجة هانم كيفما شاء . وعاد

يوسف إلى نازك ووعى الدرس وسار خلفى : عرف أن طريق السعادة مع زوجته له بوابة ذهبية اسمها فطيرة البطاطس .
إن أبى - سعادة السفير - علمنى كيف أحتاط دائماً وأحترز . لكن النجاح أحياناً يعمى . فقد اكتشفت مهجة هانم بعينيها أن الفطيرة التى كانت تصنعها لى كل يوم كنت ألقى بها من الشرفة الخلفية إلى الكلاب الضالة ، وأصبحت الكلاب تنبح كلما فاحت رائحة الفطيرة من نوافذ المطبخ .
إن مهجة هانم ترفض أن تغفر لى ، ويوسف يتوسط ، ولا يزال يقول لى : أرجو أن تكون النتائج مثمرة وبناءة .





اسمع يا كامل . . إن متاعب الحياة الزوجية أمر لا بد منه مادام كل إنسان يعاني مساً هامشياً من الجنون . كل إنسان مجنون ، لكن المشكلة أن أحداً لا يعترف أنه مجنون ، خصوصاً إذا كان نزيل عنبر مجانين أو بيت الزوجية .

إننا يومياً نصافح ونكلم ونضحك ونعايش ألوف المجانين فلا يظهر منهم ما يؤذى أو يكدر إذا استثنينا زوجتي المصابة بجنون النظافة ، فإنى أطير في الهواء من حين لآخر منزلقاً فوق الباركية الذى تجهد زوجتي الخادم فى تلميعه أربع ساعات فى اليوم حتى انفض من حولها الخدم جميعاً ، خاصة بعد أن أشيع أن إحدى هؤلاء الخدم - وكانت فى شرخ الشباب - ماتت متأثرة بالتلميع . غير أن هناك ألواناً كثيرة من الجنون لا تؤذى غير صاحبها ، فأنت ترى رجلاً ضخماً الجثة كمصارع الرومان يعاني جنون الرهبة من الظلام ، وآخر يعاني جنون الخوف من الأماكن المرتفعة ، وكان لنا جار مجنون بالحرص على كرامته بسبب وبغير سبب ففضى العمر يرفع القضايا ويطلب التعويضات ، ومعظم النساء مصابات بجنون الأماكن المغلقة ، ولنا أن نتصور حال البيت عندما تتزوج امرأة من رجل يعاني جنون الأماكن المكشوفة ، لكنها أسعد حظاً بالتأكيد من تلك التى اقترنت برجل مصاب بالبيرومانيا ، فهو يمكن أن يشعل النار فى فراشها دون تعمد إيذائها أو شوائها ، بل لمجرد هوس البهجة الشديدة بإضرار النار .

اسمع يا كامل . . أنا شخصياً لا بد أن بى مساً من جنون ما ، تماماً

مثل زوجتك أو زوجتى ومثلنا جميعاً ..

توقفت عن الحديث لأسأل كامل :

- لماذا لا تتكلم ؟

- إني أسمع .

- لماذا لا تسألني مثلاً ما هو نوع جنونى ؟

- إني أسمع .

- على العموم أنا لا أعرف إلى أى أنواع الجنون أنتمى ، ولكن زوجتى تعتقد أننى مصاب بجنون العظمة لأننى أرفض مسح المطبخ معها بعد رحيل الخدم هرباً منها . لقد أوصتنى ذات يوم بأن أظل أمسح حوض المطبخ بذلك المسحوق المنظف حتى أرى صورتي فى أرضية الحوض ، فظلمت أحك أرضية الحوض مجتهداً فى تلميعها حتى خارت قواى ، وقلت لها فى النهاية إن لدينا مرايا كثيرة فى البيت يمكن أن أرى فيها صورتي ، وغادرت المطبخ وأنا أقترح عليها تركيب مرآة فى قاع الحوض لنرى فيها صورتنا بدلاً من تلميع هذا القاع . وبكت زوجتى ، وندبت حظها لأنها نكبت بزواج مريض بجنون العظمة ويستعلى على مسح المطبخ .

وإذا كنت أشك فى أننى مريض بأوهام العظمة فالذى لاشك فيه أنى مصاب بنوع ما من الجنون . فما من إنسان يخلو من ناحية جنون . أنظر مثلاً إلى الدكتور يسرى .. هل رأيت من هو فى رجاجة عقله واتزانة ؟ ومع ذلك ، فإنه يفقد توازنه النفسى عند رؤية اللون الأحمر ويتعرض لتوتر حاد واكتئاب شديد ، وما أعظم موقف زوجته سهيلة ، فقد قاطعت اللون الأحمر بكل درجاته فى البيت ، والفساتين ، وحتى طلاء الشفتين الذى لا تستغنى عنه امرأة ، ضحت به عن طيب خاطر .

وجدت نفسى قد تكلمت كثيراً ، فتوقفت أسأل كامل :

- لماذا لا تتكلم ؟

- إني أسمع .



كانت مشكلة كامل عسيرة . لقد أحب وجدان وأحبته رغم اختلاف الثقافة والاهتمامات ، فهو خريج آداب قسم انجليزى ، وهى خريجة كلية العلوم تخصص حشرات ، ولم تحبه وجدان تمثيلاً مع تخصصها العلمى ، بل لأنه نقلها إلى عالم وردى من أحلام لم تدخله أبداً من قبل . كان ينقل إلى أذنيها قصائد كيتس وبايرون وشيلي باعتبارها كلامه ، وكانت مفتونة برومانسيته وأسلوبه الفريد فى الحب . حتى كانت تلك الليلة فى أعقاب شهر العسل . كانا يجلسان فى شرفة الفيلا والحديقة من حولهما تتنفس عير ليل الربيع . واحتضنها وهو يهمس بكلمات قصيدة لشاعر يونانى قديم : يا حبيبتي إذا أخلصت لى الحب وأخلصت لك الحب ، فسوف يتبدى لنا حصان أبيض ذو جناحين يأتى عبر أشجار البستان ، وغمطيه معاً لينطلق بنا محلقاً فى آفاق سعادة عمرها من عمر الزمان .

وأغمضت وجدان عينيها وقد ألفت برأسها فوق كتفه ، ثم همست :

- هل جاء الحصان ؟

- إنه قادم بعد قليل .

لقد أفلت الموقف من يد كامل ، فهو لم ير وجدان من قبل فى مثل هذه السعادة الطفولية الخرافية تنتظر فعلاً ظهور الحصان الأبيض ذى الجناحين . لم يكن يتوقع ذلك ، وهو يعرف كم تكره وجدان الكذب ، ولم يجد لديه الاستعداد للتراجع حتى لا يفسد عليها لحظات نادرة ، ولا وجد أيضاً الجراءة . . . ولعن فى سره الشاعر اليونانى وحصانه وحماره ، ولما اشتدت برودة الجو والليل يقترب من فجر النهار ، أكد لها أن الحصان لا بد أن يأتى فى الغد .

فى اليوم التالى انتظرت وجدان حلول الليل فى اشتياق ، ثم تهيأت لاستقبال الحصان بثوب ملائكى أبيض ، وبينما هى تعانق كامل ، اهتزت أوراق الشجر المحيطة بالفيلا ، وأطل حصان أبيض برأسه بين الأغصان ، وشهقت وجدان ثم صاحت كالسحورة : الحصان الأبيض . .

وسط هذا الحلم الأسطوري المثير ، دق جرس الباب وأسرع كامل ليجد العربجي صاحب الحصان يطالب ببقية أجره عن التمثيلية ، وحاول كامل أن يكون صوته خفيضاً قدر الإمكان وهو يقول للعربجي إنه سوف يمر عليه في الغد ، ثم دفعه بيده إلى الخارج برفق وأغلق الباب ، وبينما كانت وجدان ترتقي في أحضان كامل استعداداً لركوب الحمار ، دار العربجي حول الفيلا ثم اعتلى السور وظهر إلى جوار الحصان وصوته القبيح يشق هدوء الليل مهدداً متوعداً .

وانكشف الأمر ، وبكت وجدان كثيراً ، وشعرت ببعض الراحة والعزاء وهي ترى الجرح الذي أحدثه العربجي في جبهة كامل . لقد مضت ست سنوات على تلك الليلة ، ورغم أن كامل لم يعد في حاجة إلى أن يقيم الدليل على حبه لها ، إلا أن الجرح الذي أحدثه العربجي بقي ندبة في قلبها أيضاً ، وبقيت معها عقدة الحصان الأبيض تدين كامل بالكذب كلما روى خبراً أو تكلم ؟ ثم تعلم أن يلوذ بالصمت ، فإذا سئل لماذا لا تتكلم ؟ قال إني أسمع . وظل على هذه الحال حتى اجتاح البيت ذلك الإعصار الأخير عندما عثرت وجدان في جيب سترته على زهرة جافة عجز عن إثبات مصدرها .



استمر حديثي مع كامل حول شيوخ الجنون الهامشي بين الناس ، وقلت له : إنه ينبغي عليه أن يتعاون مع زوجته المريضة بكراهية الكذب مثلما تتعاون سهيلة مع زوجها يسرى المريض بجنون اللون الأحمر .

قال كامل : إني أسمع .

أقبل علينا الدكتور يسرى فأسرعت أخفى ولاعة كامل الحمراء . وبينما التزم كامل الصمت ، توليت شرح حادثة الزهرة الجافة التي عثرت عليها وجدان في ستره كامل ، وفكر يسرى قليلاً ثم سأل كامل : من الذي يدريك أن وجدان لم تلفق لك هذه التهمة ، خصوصاً أنها عثرت على الزهرة في غير حضورك ؟

قال كامل : إني أسمع .

وعاد يسرى يسأله : ثم من الذى أعطاها حق تفتيش ملابسك .
قال كامل : إني أسمع .

تبين لنا أن حالة « إني أسمع » عند كامل قد تفاقمت عقب حادث العثور على الزهرة الجافة في سترته ، وأنه يمر بأزمة نفسية مؤلمة . وعندما نقلت هذا الخبر إلى وجدان لم تأخذ الأمر مأخذ الجد ، لكنها أيقنت من خطورة الأمر عندما رفعت سماعة التليفون من غرفتها ، تسترق السمع بعد أن طلب كامل رقماً وهو في غرفة المعيشة ، وردد عليه صوت سامي شريكه في المكتب ، ومع أن كامل هو الطالب فقد بدأ محادثته قائلاً لسامي : إني أسمع ، قال سامي : كامل ؟؟ لماذا لم تأت لتوقيع العقد مع الفرنسيين ؟ قال كامل : إني أسمع . وصرخ سامي : ماذا تسمع عليك لعنة الله ؟ فرد كامل : إني أسمع .

تحرك الحب في قلب وجدان وأعلنت أنها غفرت له حادثة الزهرة الجافة في سترته ، ومر كامل بسلام من أزمة إني أسمع وبدأ يتماثل للكلام .

وعندما لانت وجدان تجاه كامل ، انتهزت الفرصة فقلت لها : إن الحب مبالغات خيالية وخیالات مبالغ فيها . كل فتاة زرعوا في أحلامها صورة الفارس الذى سوف يأتي على جواد أبيض ليختطفها . إنها صورة رومانسية وليست حقيقية ، فلوجاء هذا الفتى الآن واختطف البنت على جواد أبيض لقيدوا الحادث ضده جنابة خطف وحكموا عليه بالإعدام .

لاح لى أن وجدان قد بدأت تقتنع ، فواصلت قائلاً : لا ينبغي أبداً أن نطبق مقاييس الكذب على كلام العشاق والمحبين وإلا فقد الحب سحره . . . قولى لى يا سيدتى ، ماذا يعنى الحبيب عندما يقول لحبيبتة أطلبى عيونى . . نحن نبالغ دائماً يا سيدتى فى كلام الحب أو وصف الحبيب . .

إن فى تحفة توفيق الحكيم « يوميات نائب فى الأرياف » نجد الشيخ عصفور يردد أغنية فولكلورية تقول : « ورمش عين الحبيب يفرش على فدان » أى رمش هذا ؟

لاشك أننا نواجه هنا شكلاً تشريحياً نادراً لرمش العين . إنه رمش يحتاج إلى أكثر من عشرين شغالة كل صباح لغسله وتنظيفه من آثار النوم ، ثم كم صندوق صابون تواليت وكم فنطاس ماء تلزم لإتمام هذه المهمة يومياً .

بدا لي أن وجدان قد اقتنعت ، وفكرت لبرهة وهى تبسم ، ثم ترددت قليلاً قبل أن تستحلفنى بألا أبوح بالسر ، واعترفت أن كامل برىء من حادثة الزهرة الجافة فى سترته ، وأنها هى التى اختلقت الواقعة برمتها .

- لماذا يا وجدان ؟

- لأعرف كيف يكون مظهره وهو برىء ، ولكن الذى غاظنى أنه بدا مذنباً فور اتهامه ، فأيقنت أن امرأة ما قد أعطته زهرة ذات مرة ، ولهذا ارتبك أمامى . على أية حال أنا أبحث الآن - بشكل علمى - كيف أفرق بين كذبه وصدقه .

انقطعنا فترة غير قصيرة عن كامل ووجدان بسبب القضايا التى ترتبت على جنون النظافة عند زوجتى ، إذ اكتشفت زوجتى صرصوراً صغيراً فرأت أن تقاضى الشركة التى قامت برش البيت ضد الصراصير ، وصممت زوجتى أن تحتفظ بالصرصور حياً فى علبة خاصة ، وعهدت إلى بمهمة تقديم الطعام والشراب لهذا الصرصور حتى نقدمه فى جلسة المحكمة . . ومن ناحية أخرى رفعت علينا مالكة العمارة دعوى لأن إحدى الأرضيات فى البيت تأكلت من شدة التنظيف وأصبحنا نرى الجيران تحتنا بوضوح .

وعندما دعت وجدان وكامل الأصدقاء للاحتفال بعيد ميلاده كنت وزوجتى أول الحاضرين ، ولم يكن كامل قد عاد بعد من موعد عمل هام ، وقد لاحظت أن الأمور قد تطورت كثيراً ، إذ كانت وجدان تبدو سعيدة ، كأنما تخلصت من جنون كراهية الكذب .

ما الذى حدث ؟ استرقت السمع وهى تحدث السيدات . قالت وجدان : كنت أتمنى أن أشتري جهاز « بوليغراف » لكشف الكذب الذى يستخدمونه مع المجرمين لأقيس نبض كامل وضغط دمه

وتنفسه واستجابة جلده للمؤثرات الكهربائية ، لكن الجهاز - للأسف -
باهظ الثمن كما أن تشغيله يحتاج إلى فنيين ، ولهذا رأيت أن ألجأ إلى
الطريقة القديمة لكشف الكذب في الهند والداغرك ، فكانوا يرغمون
المتهم على أن يلحق قطعة من الحديد الساخن ، فإذا أحرق لسانه ثبت
كذبه ، علي أساس أن الخوف يسبب نقصاً شديداً في اللعاب مما يجعل
لسانه جافاً سهل الاحتراق .

اقشعر بدنى . تصورت لسان كامل المسكين وكيف أصبح ، ثم
حمدت الله ووجدان تواصل حديثها : لكننى عدلت عن استعمال
الحديد ، لأن تسخين الحديد يحتاج إلى وقت ، ومن غير المعقول أن
أقوم بتسخين الحديد عشرين مرة خلال أحاديث كامل ، ولهذا لجأت
إلى أسلوب آخر كان مطبقاً في أوروبا خلال العصور الوسطى ، وهو
حشوفم كامل بكمية من الأرز الجاف ، فإذا فشل في ابتلاعه بسبب
نقص اللعاب كان كاذباً .

انهالت الأسئلة من السيدات تستفسر من وجدان عن مقدار الأرز
الواجب حشوه في الفم .
- نصف كوب أرز جاف .

ومضت وجدان تقول : أما في المجتمعات الحديثة فمن العسير أن
أحمل معى الأرز ، لذلك أكتفى بأن يخرج كامل لسانه لأراه جافاً أو
رطباً ، قد أصبحت خبيرة في ذلك بمجرد إلقاء نظرة .

عندما دخل كامل نهضت لأعانقه وأحبيه في شوق وأهنته بعيد
مولده ، فرد تحيتى بكلمات طيبة ثم أخرج لسانه إلى آخره ، ورد تهنتى
ثم أخرج لسانه إلى آخره ، وعندما سألته وجدان هل وفق في غداء
العمل الذى ذهب إليه ، رد قائلاً : سنوقع العقد غداً ، ثم أخرج
لسانه إلى آخره .

أصبحت عادة ميكانيكية أن يتكلم كامل ثم يخرج لسانه إلى
آخره ..

وسألت أن يصبح كامل من الفصيصة الكلابية ، لسانه يتدلى خارج
فمه أكثر مما يستقر داخله ، وبينما أنا سارح مع خواطرى شد انتباهى

فستان أهر ترتديه إحدى المدعوات . كيف سيواجه الدكتور يسرى
هذا الموقف ؟
استفسرت عن كيفية حل هذه المشكلة ، فقل لى أن يسرى لن
يأتى .

- لماذا ؟

- مسكينة سهيلة زوجته أصيبت بجنون اللون الأحمر .
- هذه السيدة العاقلة أيضاً ؟؟ كيف ؟؟
- ضبطت فى جيب يسرى منديلاً كله أهر شفاه .





اعتدت أن أستقبل يومى بالتفاؤل ، أو أوحى إلى نفسى بذلك ، كما اعتدت - خلال حلاقة ذقنى - أن أردد كلمات من أغنية شائعة ، ولأننى لا أحفظ الأغاني فإنى أشرد مع أفكارى مردداً كلمات قليلة لا تتغير ، غير أن اهتمام زوجتى الفجائى بتلك الكلمات التى ترددت على لسانى ذات صباح خلق مشكلة ، إذ بينما كنت أقول سمراء يا حلم الطفولة سمراء يا حلم الطفولة ، دقت ليلى باب الحمام تطلب أن أكف عن ترديد هذه الكلمات المعادة ، لكننى نسيت فى الصباح التالى وتغنيت بنفس الكلمات ، فاتهمتنى زوجتى بأنى أكن عواطف خاصة لجارتنا مدام دودو ، ثم راحت تتساءل : ما الذى يعجبك فيها ؟ سمرتها الخمرية كما يقول الرجل المخرف العجوز زوج جارتنا دولت ؟ عيونها الخضراء كعيون قطط الحوارى الشرسة ؟ ما الذى يعجبك فيها . . . تكلم ؟ كان من العبث أن أقول لليلى إننى أسمع منها عن دودو لأول مرة وإننى لم أرها من قبل .

فى المساء كنت أجلس فى النادى أنتظر أدهم ابن خالتى الذى أرتاح كثيراً لصحبته ، فهو موهوب فى الغباوة ، ويلذلى أن أمارس معه نزعة الإنسان إلى التسلط والسيطرة ، ثم إن الحديث معه لا يجهدنى ، ولا يضطرنى إلى التفكير ، وهو يرفه عنى كثيراً بحكاياته عن نورما صديقتة ، وأسعد كثيراً بالحوار الذى يدعى أنه جرى بينه وبينها ، فهو حوار يجعل منه السيد والسلطان ، ويضعها هى فى مرتبة الحوارى ، وقد فشلت كل حيلى فى الوصول إلى حقيقة نورما ، فلما ضيقت عليه الخناق ، قال إنها رحلت إلى بلادها ، وأيقنت أن نورما شخصية وهمية

تحيا في خياله وتتيح له الفرصة للزهو والتفاخر وتغطية القهر الذي يتعرض له من زوجته سوسن .
ظلمت أنتظر أدهم في النادي ولكنه لم يحضر ، وتبين أنه قد ترك لي
الرسالة التالية :

عزيزى عزت ..
ثانياً - سأذهب الليلة في مهمة صعبة سأحدثك عنها غداً .
أولاً - أعتذر عن تغيبي الليلة .
ملحوظة - ذكرت ثانياً قبل أولاً لأهمية ثانياً عن أولاً .
في الصباح التالى حرصت على أن أتجنب ترديد أغنية سمراء ،
ورحت أترنم بكلمات : ذهبى الشعر شرقى السمات ، ولأننى لا أعرف
إلا هذه الكلمات الأربع ، فقد دقت ليلى الباب بعصبية وهى تصيح :
عرفنا إن شعرها أصفر .
لكن الأمر كله وضح لى عندما التقيت بأدهم في النادي وقال لى :
إن ليلى قد استدعته أمس لاستجوابه ، وتلك هى المهمة الخاصة التى
ترك لى بشأنها رسالة الاعتذار ، وقد أكد لها أدهم أنه لا علاقة لى بمدام
دودو وكادت تقتنع ، غير أنها اتصلت به صباح اليوم وقالت له : هل
عرفت أن عزت كان يردد اليوم : ذهبى الشعر ذهبى الشعر ؟ وهل
تعلم أن مدام دودو ظهرت بشعر أصفر هذا الصباح ؟ مؤكداً هو على
صلة بها وإلا فكيف عرف هذا الصباح أنها قد صبغت أمس شعرها ؟؟
اسمع .. ابن خالتك هذا ، إما أن يطلقنى وإما سوف أقتله .
سرحت مع خواطر كثية . فإنى أعرف ليلى عندما تستبد بها الغيرة .
أفقت من خواطرى وأدهم يعطينى كيساً غملياً صغيراً داكن
الزرقه ، مخيلاً من كل جانب ، ورجانى أن أحتفظ به ، فهو الذكرى
الباقية من نورما بعد سفرها . لم أكن عندئذ فى حالة تسمح لى بطرح
أى سؤال عليه ، فقد شغلتنى تلك الأزمة الجديدة التى أثارته ليلى .
عدت إلى البيت بخطوات متثاقلة شديدة الهم . ما هذا الذى أراه ؟
ليلى تستقبلنى بابتسامة جميلة وكلمات تقطر عذوبة وهى تتأسف عما قالت
لى بشأن مدام دودو ، فهى واثقة من إخلاصى لها ، ولا تشك أن حبنى

الكبير لها - منذ أيام الكلية - لم تلوّثه خيانة أو حتى نزوة .
ما الذى جرى ؟ إننى أعرف جيداً ليلى وغيرها ، وهذه ليست ليلى
أبداً . كنت مبهوراً أحلق فيها ، فمسحت شعرى بيد حانية وهى
تسألنى : ماذا بك ؟

لا شىء .
أعرف أنك لاتزال غاضباً منى يا حبيبى . . لك الحق ولكن عذرى
إنى أحبك .

طوقتنى بذراعيها وقبلتنى قبلة سينمائية نادرة دفعتنى إلى زيادة الشك
فى قواها العقلية . ماذا جرى لزوجتى بحق السماء ؟
جذبتنى من يدي إلى غرفة المعيشة ومازلت مأخوذاً بليلى الباهرة
الجديدة التى لم أرها منذ أيام الكلية . وما لبثت أن قالت : لقد أعددت
لك مفاجأة تحبها جداً ولن يزاحمك فيها الأولاد ، فقد ناموا . . طبعاً
عرفت ما هى المفاجأة : أرز باللبن .

أرز باللبن ؟؟ الطبق مسموم . مؤكد مسموم . الآن وضحت
أسباب الغرام المفاجئ . هل يمكن أن يصل هوس الغيرة عند هذه
المجنونة إلى هذا المدى المدمر ؟

راودنى إحساس بأن أفر جاريةً فجأة خارج البيت . المهم أن أباغتها
بالهرب ، فربما إذا رفضت أكل الأرز دقت رأسى بآلة حادة أو عاجلتنى
بضربة سكين أخفتها تحت طيات ثيابها .

وجدتنى أقول لها : هل يمكن أن تفعلنى بى هذا ؟؟ قالت وهى
تصوب الملعقة نحو فمى لتطعمنى الأرز باللبن : ألم أعتر لك
يا حبيبى ؟

رددت يدها الممدودة بالأرز المسموم وتأهبت للجرى ، فوقفت تنظر
لى بدهشة وبخيبة أمل وقد حولت ملعقة الأرز إلى فمها ، ثم وضعت
الطبق والمعلقة فوق المنضدة وما لبثت أن أجهشت بالبكاء . ضممتها
إلى صدرى ومسحت دموعها وأنا أشعر بأسى عميق لسوء ظنى بها .
كيف تصورت أن ليلى يمكن أن تقتلنى بالسّم ؟ احتوتنا لحظة صمت
طويلة .

في الصباح أيقظتني ليلي برفق وحنان وكأني طفلها المدلل . ما أروع
هذه الرومانسية بعد ليلة الزفاف بتسع سنوات ! وحتى لا أسوء إلى هذه
الهدنة الرومانسية التي يصعب تفسيرها ، تنبهت جيداً في الحمام وأنا
أحلق ذقني حتى لا أردد كلمات قد يساء تفسيرها ، ولهذا سلكت طريق
السلامة ورحت أنشد : بلادي بلادي فداك دمي . . بلادي بلادي
فداك دمي .

نقلت حاجاتي من البدلة التي كنت أرتديها ، اصطدمت يدي
بالكيس المخمل . لعنة الله عليك يا أدهم . . هذا الكيس يجب أن
يعود إليه ، فما أغناني عن أن أكون موضع الشبهات لو عثرت عليه
ليلي .

ذهبت إلى المكتب دون أن تغادر صدرى تلك البهجة الحقيقية التي
أشعر بها منذ أن استيقظت على قبلات ليلي . إنها بهجة . أحس أنها
وليدة أعماقي وليست محاولة من جانبي أوحى بها إلى نفسي . . كل شيء
مشرق وجميل بداخلي . خاطر واحد يمر برأسي من حين لآخر
ويزعجني : لماذا كل هذه الرومانسية من ليلي ؟؟

لم تتركني البهجة حتى والسكرتيرة تقول لي أن بدران أبو السعود
يطلب مقابلي ، ما الذي جاء بهذا الرجل الذي أطلبه أمام القضاء
بتعويضات عن أضرار الحقها بي في معاملاته ، ورغم أنني استقبلت
خبر حضوره بهدوء ، فقد رجعتي السكرتيرة ألا أنفعل لمقدمه ، فلسانه
مصاب بدمل كبير يملأ فمه ويمنعه من الكلام ، وكان هذا في حد ذاته
خبراً ساراً ، فهو سليل اللسان ومستفز في مناقشاته ، وكان غريباً
ومدهشاً أن أعرف أنه جاء وهو على استعداد لدفع ما أطلبه نقداً ، فقد
قرأن يتوب إلى الله ويتصوف ، ودفع لي بالفعل كل مستحقاتي .

في الساعة الواحدة دق التلکس بالموافقة على عرض تقدمت به
وكنت أنتظر هذه الموافقة من شهور . . ففي المشروع كسب طيب .
وفي الثانية والنصف أبلغني المحاسب حكم المحكمة في قضية ضرائب
بتخفيض الضريبة من خمسين ألفاً إلى عشرين ألفاً فقط . في الساعة
الثالثة تأهت للعودة إلى البيت ، غير أنني عدت أدراجي لأتصل تليفونياً

بأدهم حتى يلتقى بي في النادي فأعيد إليه هذا الكيس المخملى الذى قد يسبب لى مصيبة ، لكن خاطراً اقتحم رأسى فجأة جعلنى أعيد السماعه إلى مكانها ، ألا يمكن أن يكون هذا الكيس المخملى ومحتوياته المجهولة هو سبب كل هذا التوفيق فى البيت والعمل؟؟

لقد بدأ تأثير الكيس أكثر وضوحاً فى الأيام التالية : ليلى تزداد حباً لى والتوفيق فى العمل رائع ، وفى نهاية الأسبوع ذهبت للمرة الرابعة إلى راشد بك زوج عمى أحاول إقناعه بالأيتزوج من الممرضة الشابة التى وقع فى غرامها وهو فى الخامسة والثمانين ، مؤكداً أنه لا يهدف من الزواج المنتظر إلا إنجاب الولد ، وما أن جلست إليه والكيس المخملى فى جيبى حتى راح يستمع لى - ولأول مرة - بلا مقاطعة عصبية ، وكان مطرق الرأس يستوعب كلماتى فى إمعان ، ثم تبين أنه مات بالسكتة . وجاء أدهم الغبى يهنئنى لأن ثروة راشد بك قد انحصرت فى عمى وراثته الوحيدة ، وتمنى أدهم أن تدخل عمى الفرحة على قلبى فى يوم قريب لأننى وريثها الأوحد .

وخطر لى أن أسأل أدهم عن مدى إيمانه بالحظ ، وكنت أهدف إلى أن أعرف إن كان حظه قد ساء بعد أن أعطانى هذا الكيس المخملى ، فقال أدهم : لقد كان أبى سعيداً بالحظ ، وهو عندما احتاج إلى مبلغ كبير لإجراء عملية جراحية تعمد أن يشتري ورقة يانصيب وكسب فعلاً الجائزة التى غطت نفقات العملية الجراحية ، كما غطت أيضاً مصاريف الجنازة .

ولم يشر أدهم من قريب أو بعيد إلى الكيس المخملى وأنا أدور بأسئلتى حول تفاؤله وتشاؤمه ، وكل ما قاله إنه يصاب بصداغ نصفى عندما يدخل كوكب المشتري برج العقرب ، فلما سألته متى يدخل المشتري برج العقرب قال : عندما أصاب بصداغ نصفى .

فى النادي التقيت بصديق الصبا والشباب دكتور بدير علم الدين ، كان متوتراً وقلقاً ، فهو مرشح لمنصب كبير فى الأمم المتحدة ينافسه عليه عالم بريطانى وآخر إيطالى ، وإن كان بدير يتفوق عليهما بدرجاته العلمية وأبحاثه المستفيضة فى خرافات ومعتقدات المجتمعات البدائية

والوسائل إلى تحديث هذه المجتمعات . ورويت لبدير عن مفعول الكيس المخملى العجيب . فألح في طلب هذا الكيس والاحتفاظ به حتى يتم ترشيحه بعد يومين ، وأعطيته له .
عدت إلى البيت لأجد ليلي في حالة جنون ، استقبلتني وهي تصرخ : لا تحاول الإنكار ، لقد كنت أطل الآن من الشرفة ورأيت كل شيء . . . سيارتك تدخل الشارع مع سيارة دودو في وقت واحد . . . انكشفت الغشاوة عن عيني يا عزت ورأيتك على حقيقتك أيها الخائن . . . لا جدوى منك حتى لو أوقدت أصابعي العشرة شموعاً لك .

شيء طبيعي أن يحدث هذا كله ، فالكيس المخملى ليس معي ، ومناقشة ليلي لن تثمر ، والحل العملي هو استعادة الكيس فوراً من بدير ، وفي منزل بدير استقبلتني زوجته كاميليا وسعادة غير عادية تفيض من وجهها : بارك لنا يا عزت . . . بارك لنا . مبروك يا كاميليا . . . هل حصل بدير على منصب الأمم المتحدة ؟ قالت : بدير استدعوه ليكون وزيراً في الوزارة الجديدة . . . كل شيء حدث فجأة الليلة بعد دخوله من الباب عائداً من النادى .

انشغل بدير في مراسم تشكيل الوزارة وحلف اليمين ، ومريوم من أشد أيام حياتي قسوة في البيت والعمل ، وعندما توجهت في المساء إلى بيت بدير وجدته محاطاً بالحرس ، ومليئاً بوفود المهنيين والأصدقاء الذين ظهروا فجأة ، وانتحى بي بدير جانباً يرجوني ألا أذكر لمخلوق قصة هذا الكيس المخملى العجيب الذي حمله إلى كرسي الوزارة ، ثم رجاني أن أترك له الكيس أو أبيع له بأى ثمن حتى لا يخرج من الوزارة أبداً ، وادعيت أن عندي غداً لقاء بشأن صفقة هامة يتوقف عليها مستقبل المالى ، وأنني سوف أرد إليه الكيس مساء الغد ، ودسست الكيس في جيبى عائداً إلى البيت ، وما إن فتحت الباب حتى رأيت ليلي جالسة تبكى وترجو أن أغفر لها سخافاتى في اليومين الماضيين ، وبصوت دافع راحت تعبر عن ندمها لأنها ترميني دائماً بتهم ظالمة . . .
وبدأت القبلات السنينائية زاء سمة نال اسماء ونورا دة

عندما جلست إلى المكتب في ذلك الصباح ، كان واضحاً أن اليوم قد بدأ بداية غير طبيعية . فكل شيء يواجه تعقيداً والمشاكل تبدو صعبة الحل . ماذا جرى للكيس المخملي السحري ؟ تحسست جيبي . آ . . . نسيت في جيب الروب دى شامبر أو في مكان ما ولم أنقله إلى البدة التي ارتديتها . كيف فاتني هذا ؟؟

عدت إلى البيت بسرعة بحجة أنني نسيت أوراقاً هامة . وهناك كانت المشكلة الكبرى في انتظاري ، فقد عثرت ليلي على الكيس فوق مكتبي وفتحته ووجدت بداخله خصلة شعر أصفر مربوطة بخيط حريري أحمر ، أصرت على أنه شعر دودو .

أقسمت ليلي أنني لم أكن أعرف ما بداخل هذا الكيس الذي يخص آدم ابن خالتي ، ولا بد أن هذا شعر صديقه نورما ، وجاءت سوسن تسوق أدهم من قفاه ، وأقسم أدهم هو الآخر أنه لا يعرف ولم يعرف امرأة اسمها نورما أو غير نورما ، وأشعل النار انتقاماً مؤكداً أن هذا شعر مدام دودو ، فتركت ليلي البيت لاجئة إلى أسرتها .

أقسمت ليلي أنني لم أكن أعرف ما بداخل هذا الكيس الذي جاءني من أدهم ، ثم كيف اكتشفت أنه تيمة تجلب الحظ السعيد ، وكيف أصبح الدكتور بدير وزيراً بعد ساعة واحدة من احتفاظه بهذه التيمة ، وقال والد زوجتي : ما رأيك أن أصحب ليلي إلى الدكتور بدير فلعل في شهادته براءتك .

قال الدكتور بدير : هل تعرفين يا ليلي أن إحدى رسالتي للدكتوراه التي تقدمت بها إلى السوربون هي عن خرافات السحر في المجتمعات البدائية وأثرها في التقدم والتنمية الاجتماعية ؟ فكيف تصدقين هذا الهراء السخيف من عزت . . لن أغفر له هذه الإهانة التي يلصقها

ب .

حفيت أقدامى ترددأ على ليلي في بيت أسرتها ، فمن حسن الحظ أنها تحتفظ بخصلة الشعر داخل الكيس حتى يتيسر لها الحصول على خصلة من شعر دودو لإثبات خيانتى على وجه التأكيد ، وقد نجحت بعد صبر طويل في إقناع والدها بأن تجرب ليلي خصلة الشعر الذهبية في جلب

الحظ السعيد .
قال لى والدها فى التليفون : لقد أقنعت لىلى فحملت التميمة فى
حقيبتها وتوجهت إلى الكوافير لتعود إليك فى أتم زينتها .
شكراً يا عمى لهذا الخبر السعيد .
فاستأنف يقول : وبفضل هذه التميمة احترق شعرها تماماً عند
الكوافير ، وأصبحت صلعاء .
وأغلق التليفون فى وجهى .

★ ★ ★



عندما كانت سهيلة تتكلم ، يصبح الإنصات من شيم زوجاتنا العزيزات ، فقد كانت سهيلة شخصية مؤثرة ، أظهرت موهبة مدهشة في حل الخلافات التي تنشأ عادة بين كل زوجين ، إذ تميزت فوق ثقافتها الرفيعة بالدبلوماسية الهادئة ، والمنطق القوي ، والقدرة على الإقناع ، وكنا شديدي الإعجاب بالحياة الانسيابية السعيدة بينها وبين زوجها الدكتور بركات .

ولقد كانت سهيلة تميل كثيراً إلى إنصافنا نحن الأزواج ، وتلتمس الأعذار لعيوبنا ، وعندما نجحت في حل المشكلة المزمنة بين عبدالمجيد ونوال ، كان نجاحها نقطة تحول في حياتنا جميعاً ، نحن مجموعة الأصدقاء الذين تجمعهم أمسيات نهاية الأسبوع .

إن عبدالمجيد كان يؤمن بأن لعب الأطفال تقوم بدور هام في تنمية مدارك الطفل والإضافة إلى قدراته الذهنية ، وما إن وضعت نوال طفلها وائل حتى أسرع يشتري أول لعبة للولد ، وهي دبابة ضخمة تدور مدافعها في كل اتجاه ، والضوء الأحمر يخرج منها مع أصوات القصف ، وأصبح عبدالمجيد يفتش الأرض بجوار مهد الطفل ويلعب بالدبابة ، زاعماً أنه ينبغي تنبيه حاسة السمع عند الولد .

ثم بناء على توصلات نوال ، انتقل عبدالمجيد ليلعب بهذه الدبابة في غرفة أخرى ، فإذا دخلت عليه زوجته احتضن اللعبة وراح يتضرع إلى الله أن يكبر وائل ويراه يلعب بالدبابة ، واستمر بعد ذلك يتردد على مهد الطفل ، فيحمله ويناغيه ويقول له في كل مرة : دبابتك في انتظارك يا حبيبي ، ثم يجلس القرفصاء والولد في حضنه ويظل يلعب

باللعبة طالباً إلى الطفل الذي لا يعي أن ينظر إلى الدبابة الظرفية وكيف
تمشي ، ثم بعد ذلك أصيب مدفع الدبابة بعطب فاستولى عليه هم
عظيم ، وأصبح لا حديث له مع نوال إلا عن هذا المدفع المعطوب
الذي لم يعد يتجه ناحية اليمين ، ولم تفصح نوال عن تدميرها من حديثه
التافه ، وكتمت شكواها .

ثم كبر وائل ، وبدأ عبدالمجيد ينفق مبالغ كبيرة في شراء اللعب
لولده ، لكن الطفل كان يعود لأمه باكياً لأن أباه يمنعه من الإمساك بأية
لعبة حتى يلعب بها وحده .

وانفجرت الأزمة بين نوال وعبدالمجيد لنعرف بها جميعاً لأول مرة ،
وللمرة الأولى أيضاً عرفنا لماذا كان عبدالمجيد يسألنا عن لعب الأولاد
المكسورة فيتولى إصلاحها وتشغيلها معهم .

وترافعت سهيلة عن عبدالمجيد . قالت : إنه يجد سعادة في الهرب
إلى طفولته ، وهي سعادة لا يجد مثلها في حاضره ، ربما لأن نوال
انصرف اهتمامها به إلى وائل ، ثم ما هو وجه الانحراف في هذا اللهو
البريء ؟

ومن هنا أطلقت سهيلة صيحتها لكل الزوجات : اتركن زوجك
يمارس هوايته البريئة في البيت ، فأنت بذلك لا تسعدينه فقط ، وإنما
ترفعين أيضاً عن نفسك عبء ملاطفة شخص عنيد وجامح لإغرائه
بالبقاء إلى جوارك في البيت .

مالت سهيلة على أذن نوال : أليس ما يمارسه زوجك من هواية
بريئة خيراً ألف مرة مما يفعله شريف الذي يسهر كل ليلة في الخارج
حتى أصبح الشك يستبد بزوجه نعمت ؟

لكن نعمت وعت الدرس ، وقررت أن تسترد زوجها إلى جوارها في
البيت ، غير أن شريف طاف بكل الأصدقاء ليدلل على خبل زوجته
التي أهدت إليه سيارة مطافئ « لعبة » يلعب بها في البيت ، وقد بكت
نعمت لأن شريف المجنون ألقى بسيارة المطافئ وحطمها ولم يلعب بها
مثل عبدالمجيد .

وعادت سهيلة تردد : اكتشفى هواية زوجك . شاركه اهتماماته .

اجعلى من بيتك مكاناً جذاباً بالنسبة إليه وهى له فيه الجو المناسب
لممارسة ما يهواه .

وأثمرت صيحة سهيلة ..

عاد شكرى إلى هوايته الأثيرة « الشطرنج » وحاولت خيرية أن تتعلم
منه تلك اللعبة التى تنسيه الدنيا .

وتراجعت هدى ورحبت بأن يخرج سليمان اسطواناته من جديد
ليستمع إلى موسيقى فاجنر بالذات وأعماله الأوبرالية . وكانت موسيقى
فاجنر تدفع هدى إلى « الصوت » والاستغاثه من تلك الضوضاء
الرهيبه التى يتداخل فيها خبط الحلل - كما تسميها - مع نونوة القطط ،
وأصبح سليمان يجلس مستمتعاً بأوبرا « تان هويزر » لفاجنر حتى
ولو شكها الجيران لشرطة النجدة من صموت التينور المتوحش الذى يقوم
بدور هنريش هويزر .

ولأول مرة تركتني زوجتى كوثر أمارس هوايتي بمتعة كاملة دون
تدخل منها . فقد كنت أعود من عملي الإضافي بعد الظهر كباحث
كيميائي ، ثم انتحى ركناً هادئاً فى البيت وفى يدي قلم وورق ، وتقبل
كوثر لتسألني نفس السؤال كل يوم ؛ ماذا تكتب يا رضا ؟
- أتسلى يا كوثر ..

وتنظر زوجتى فى الأوراق فلا تجد إلا أرقاماً وعمليات حسابية ،
واعتقدت فى البداية أننى أحاول أن أوازن دخلى المحدود للوفاء بطلبات
البيت والأولاد ، فتحاول أن تخرجني من همومي وتصحبني إلى مشاهدة
التليفزيون . وكنت أربت على ظهر كوثر وأعدها بما تتمناه وتريد من
ملابس وجواهر ، فقد كانت تبكى عندما تنفرد بنفسها لأنها أكثر
صديقاتها تواضعاً فى الملبس والمظهر عموماً .

وعندما أطلقت سهيلة دعوتها : أتركى زوجك يمارس هوايته قلت
لكوثر : إننى كنت فى دراستي مولعاً بحل مسائل الحساب ، وأننى
عندما أريد الهرب من مشاكل الاقتصاديه فإننى أهرب إلى حل المسائل
الحسابية حيث أجد المتعة والسلوى . وذلك هو معنى قولى : « إننى
أتسلى » كلما سألتني ماذا تكتب يا رضا .

سمعت زوجتي تقول لسهيلة : الحمد لله ، هواية زوجي بسيطة .
انظري كيف تعاني نوال المسكينة من هواية عبدالمجيد الذي بنى غرفة
فوق سطح الفيلا لتركيب لعبة شبكة قطارات السكك الحديدية . .
والجيران خاصموها هدى بسبب أوبرات فاجنر التي وصلت إلى محاضر
الشرطة ، وهدى نفسها أصيبت بالصداع النصفى . . وشكري يترك
خيرية بالساعات محققاً في رقعة الشطرنج ، ثم ينهض متوجهاً إلى مركز
التلكس الدولي ليبرق بتحريك قطعة الشطرنج إلى منافسه في بلجيكا
بعد دخوله المباريات الدولية . . أما رضا - حماد الله - فلا تكلفنا هوايته
إلا بعض الأوراق . . بل إنه رفض أن أهديه آلة حاسبة اعتزازاً بتفوقه
العقلي في الحساب .

آه لو عرفت كوثر الحقيقة !

لقد نمت القروش القليلة التي تركها لي والدي بفضل حرصي
وتدبري والإنفاق على اللازم والضروري ، ولو كنت أطيع جنون
النسوان في مطالبهن الفارغة لما وجد أولادي في مستقبل حياتهم فلساً
واحداً . وما أألذها من هواية أن أدخلو إلى نفسي وأحسب حساب
الأرباح والفوائد ، فبعد شهرين يصل رصيدي إلى أربعمئة ألف
جنيه ، وما أعظمها متعة أن أكتب هذا الرقم وأنهمك في حساب
أرباحه المستقبلية دون أن تفسد كوثر متعتي ظناً منها أنني أمارس هواية
حل المسائل الحسابية . فشكراً لسهيلة .
لكن سهيلة أمامها مشكلة جديدة . .

ففي أمسية نهاية الأسبوع التقينا بعبدالمجيد ، كان شارد الفكر ،
فقد حدث خلل في الشبكة واصطدم قطاران ، ولم يكن له حديث
طوال السهرة إلا عن هذه المأساة ، وكيف كان النور الأخضر مضيئاً
أمام قطار البضاعة ، وفي نفس الوقت كان النور الأخضر مضيئاً أمام
قطار الركاب مما سبب الحادث . ثم تساءل عبدالمجيد في حيرة : كيف
يحدث هذا ؟

قلت له والآخرين يكتمون الضحكات : أنا أشرح لك كيف .
قال عبدالمجيد في اهتمام : هل لديك خبرة بالقطارات ؟ فبادر

شكرى يقول : طبعاً ، رضا من أحسن ركاب القطارات .
وضحكنا . وساءنى حقاً أن يشعر عبدالمجيد أننا نسخر منه ، فقد
لاذ بالصمت ثم انسحب في هدوء .

وأصبحت مشكلة النور الأخضر الذى أضاء مع النور الأخضر
الآخر هى المشكلة رقم واحد فى حياة عبدالمجيد ، ولاشك أن نوال
احتملت كل هذا الهراء عن قطاراته أياماً طويلة حتى نفذ صبرها ،
وثارت ، وفى غمرة ثورتها غيرت عبدالمجيد بأنه طفل . وهنا انفجر
عبدالمجيد يزهو بأنه أعظم أصدقائه رجولة ، فهو ليس مثل رضا - أنا -
الذى يقتر على زوجته وأولاده بينما رصيده يتضخم فى البنوك ، وهو
ليس مثل شكرى الذى يقول لخيرية إنه ذاهب إلى مركز التلكس الدولى
لينتظر برقية من منافسه فى المسابقة بينما هو يذهب إلى صديقته مضيئة
الطيران النرويجية .

حقاً . . . إن عبدالمجيد طفل . عيل .

فلقد تركت خيرية البيت لشكرى .

وكوثر تطالبنى بأن أكتب لها نصف ثروتي وإلا فالطلاق ، وترمينى
تلك المجنونة بالبخل وهى تشكو لسهولة أنى أشتري اللحم للأولاد مرة
كل شهرين . . .

ولقد تجاهلت تلك المطالب الجنونية التى تريدها كوثر ، لكننى
تنازلت بعد تفكير عن موقفى وسوف أعرض على سهولة الليلة هذا
التنازل وهو أن أشتري اللحم للأولاد مرة كل شهر .





شكت لى مديحة أن طفلنا الصغير كريم ناظم على مقدم شقيقته
الوليدة إلى الدنيا ، إذ بدأ يشعر أنها تسرق منه الاهتمام ، فازداد نشاطه
العدوانى وهو يحاول إعادة نفسه إلى دائرة الضوء وإثبات الذات
واجتذاب الأنظار إليه .

ولم أكن متفقاً مع مديحة فى وجهة نظرها عن « كوكى » ، فإنى أعرف
كيف تبالغ فى حكاياتها خصوصاً عندما تروى لأمها عنى فى ساعات
الغضب ، فقد قالت مرة مثلاً وهى تبكى : ان شخيرى الرهيب أثناء
النوم حرك كوب الماء الفارغ من حافة الكومودينو بجوارى فهوى
الكوب إلى الأرض ، وأيدت روايتها بتسجيل أشك فى أنه لمخلوق
آدمى ، إذ ما إن أدارت التسجيل حتى اهتز زجاج النوافذ بشدة .
ثم إن مديحة تريد أن تعامل كوكى كإنسان عاقل رشيد وليس طفلاً
لم يكمل بعد الخامسة من عمره ، فهى تستنكر شقاوته الطفولية ،
وتعتبر رواياته عن مغامراته فى مصارعة الأسود والنمور مؤشرات مؤسفة
تدل على أنه ورث الكذب عن أبيه .

ولأننى أشعر بضعف غريب حىال طفلى ، فقد أصبح كوكى شديد
التعلق بى ، حتى انه ظل حزيناً وغاضباً عندما داهمتني الأنفلونزا ، إذ
اعتقد أننى ألزم الفراش لأننى أنا الآخر أنجبت مولوداً أخفیه بجوارى
تحت الأغطية .

قلت لكوكى إن الرجل لا يلد ، فسألنى الولد : وهل أنت رجل ؟
قلت له إن كل أب رجل وكل أم امرأة ، فعاد يسأل : ولماذا لا يلد

الرجل ؟ أنت ترى فمى مشغولاً بأكل برتقالة ولا أستطيع الرد . قال الولد : بدلاً من أن ترد بأن فمك مشغول أجبنى لماذا لا يلد الرجل ؟ قلت متهرباً : قلت لك إن فمى مشغول ، وعلى العموم سوف أجيب عن سؤالك هذا عندما تصبح كبيراً ، فأبدي الولد دهشته وهو يقول : وهل ستظل تأكل هذه البرتقالة إلى أن أصبح كبيراً؟؟ غيرت موضوع الحديث ووعدت كريم بأن نقوم برحلة معاً في نهاية الأسبوع لزيارة جدته إن هو أثبت أنه طفل مطيع . سمعتنى مديحة وهى تدخل الغرفة فقالت تكمل عبارق : ويثبت أيضاً أنه يعتمد على نفسه فى أكله ولبسه .

فقد فشل كوكى فى تقطيع شريحة اللحم إلى قطع صغيرة كما تأمره أمه فى كل مرة نجلس فيها إلى المائدة . وهمس الولد فى أذنى بعد أن خرجت أمه من الغرفة : لماذا لا تشتري ماما لحماً حقيقياً كالذى آكله مع طارق عند خالتي؟؟ فلما أكدت لكوكى أن اللحم حقيقى ذكرنى بقطعة اللحم التى أفلتت من تحت السكين طائفة من طبقى وأنا أحاول تقطيعها ، ثم اختطفتها القطة تحت المائدة ، ولم أشأ أن أذكر الولد بأن القطة - منذ ذلك اليوم - اختفت من البيت ولم تعد . فجأة دخلت مديحة الغرفة ولم تعجبها بلاهتى وأنا أرتدى القميص بالقلوب . ظهر القميص فوق صدرى بينما امتدت يداى إلى الخلف محاولاً ربط أزرار القميص ، فقد استجبت إلى الولد عندما أحضر قميصى وطلب أن أرتديه بهذه الصورة ظناً منى أننى أرضيه بهذه اللعبة ، لكن ما أن رأى أمه تدخل الغرفة حتى صاح مشيراً نحوى انظرى إلى دادى .. إنه لا يعرف كيف يربط أزرار القميص .. فكيف تريد منى أن أعتمد على نفسى فى ارتداء مريلة المدرسة وكل أزرارها فى الخلف .

لقد انتهى هذا الموقف بمحاكمة عسيرة لى عندما انفردت بى مديحة ، فلو أننى كنت قد أحسنت ربط أزرار القميص وأنا أرتديه بالقلوب لما وجد هذا الولد الفرصة لكى ينتصر عليها ، وأصرت مديحة فى نهاية المحاكمة على أن أتدرب على لبس القميص بالقلوب وربط أزراره حتى

أصبح قدوة للولد وأفسد حجته بشأن الاعتماد على نفسه في ربط أزرار
مريلة المدرسة .



قال لي كوكى ونحن في الطريق إلى جدته : هل أقول لك شيئاً
ولا تخبر ماما؟؟ فوعده أن أكتفم السر ، وهنا وقف على كرسي السيارة
ووضع فمه على أذني يهمس بالسر : لقد رأيتك بالأمس وأنت تلبس
القميص بالقلوب وماما غاضبة لأنك لم تعرف كيف تربط أزراره .
وصفق كوكى بيديه فرحاً وهو يضحك بينما أنا في ارتباك حقيقي ،
ولم أجد ما أقوله إلا أن مد اليدين إلى الخلف لربط الأزرار يقوى
عضلات الذراعين ، وأضفت قائلاً : دعني أرى عضلاتك : فأسرع
كوكى يكشف عن ذراعه في سعادة بالغة وهو يشيد بقوته الخارقة ، ثم
بدأ في سرد قصصه الخيالية التي تثير ثائرة والدته ، غير أني تركته ينساق
وراء خيالاته حتى ينسى القميص الذي رأيته أتدرب على لبسه
بالقلوب ، وأفقت من شرودي لأسمع كوكى يروي كيف قهر الأسد
« تابو » وجره من ذيله ثم خلع أسنانه .

قلت له : ولكن تابو هو كلب صديقك أيمن وسامح ابني الجيران ،
وهو كلب لطيف وادع ، وتذكر يا كوكى أننا رأينا معاً الأسد في حديقة
الحيوان ، وهو يختلف تماماً عن شكل الكلب تابو .

سكت كوكى برهة ثم سألني : هل رأيت الأسد وهو يعيش في
الشارع ؟ قلت : كلا يا كوكى . . أنا لم أر الأسد إلا داخل قفصه .

قال كوكى : الأسد عندما يخرج من قفصه وتقابله في الشارع يصبح
شكل تابو تماماً . . وأنا قابلت الأسد في الشارع .

وجدتني أضحك لأن الولد أوقعني في مصيدة يتحتم معها أن
أستسلم لروايته دون تكذيب ، ثم قلت له : إنني لا أحب الاعتداء
على الحيوان ، وعندما أصحبك إلى السيرك كما وعدتك فسوف تجد أن
كل الحيوانات لطيفة وظريفة ويمكن أن تكون صديقة للإنسان حتى
الأسد والنمر ، وأنا أعرف أنك قوى ولك عضلات عظيمة يا كوكى ،
لكنني أرجو أن تستخدم هذه العضلات في مساعدة الضعفاء .

قال الولد مقاطعاً : أنا مستعد لمساعدتك يا دادى .
خطر لى على الفور أن الولد يرانى ضعيفاً ويتطوع لمساعدى ضد
أمه ، لكنه أضاف وهو يمسك بعضلات ذراعه : أنا أضرب من
يضربك يا دادى ..

لماذا يرانى الولد ضعيفاً ؟ لا أدرى .
شرحت له أن الاعتداء على الناس ليس بطولة ، لكن البطولة هي
أن ينقذ إنساناً من الغرق أو الحريق مثلاً ، ولذلك فليس من البطولة أن
يعتدى كل يوم بالضرب على أيمن توأم سامح بسبب الكلب تابو ..
قال كوكى : إنه يجب أيمن وسامح معاً ، غير أنه لابد أن يضرب
أيمن لكى يحدث علامة فى وجهه حتى يمكنه التفرقة بين التوأم .
أبدت دهشتى فى استنكار لهذا التعليل الغريب ، فاستدرك كوكى
يقول : إنه لا يضرب أيمن دائماً وإنما يفضل فى أحيان كثيرة أن يعض
أذنه حتى تترك أسنانه علامة واضحة تميزه عن سامح .
وطالت مناقشتى معه بشأن أيمن وسامح ، فأوضح كوكى ما معناه أنه
قد استنفد الأساليب السليمة فى التفرقة بين التوأم ، وأنه فى البداية كان
يسأل كلا منهما أن يعلن عن اسمه ، فكانا يجدان متعة فى تضليله ،
لكن أيمن ألقى بالوردة ، وانتهت المناقشة مع كوكى بسؤال من جانبه :
دادى .. كيف يمكنك أن تفرق بين أيمن وسامح دون أن تعض أذن
أيمن ؟

سرحت أسائل نفسى : كيف يمكن حقاً لكوكى أن تتوافر له وسائل
التمييز بين توأم لها نفس الملامح والشعر والتسريحة والملابس دون أن
تكون لأحدهما علامة مميزة ؟؟ هل أتلمس بعض العذر للولد الذى
لاقى عقوبات بدنية متعاقبة من أمه بسبب عدوانه على أيمن ؟ إن كوكى
يمتلك منطقاً - كمعظم الأطفال - نرفضه بجهل ، ربما لأننا لا نمتلك
حياله منطقاً فى وجاهته ، إننا لا نقدم لهؤلاء الأطفال المنطق البديل
والمقنع اكتفاء منا بفرض الأوامر والنواهى .
أفقت من خواطرى على صوت كوكى يقول : دادى .. هل أنت
غاضب منى لأننى أضرب أيمن ؟

قلت له : أنا لا أحب أن أرى إنساناً يضرب إنساناً لأى سبب .
ولهذا يعتبر القانون الضرب جريمة عقوبتها الحبس .
قال كوكى : الضرب جريمة ؟
قلت : طبعاً .

قال : ولماذا تضربنى أمى ؟؟
تجاهلت سؤاله الصعب المفاجيء وقلت له : إننى لا أحب أن
يعتدى على من هو أصغر منه ، فليس من الشجاعة أن يضرب أئمن ،
لكن كوكى استنكر هذا الاتهام وقال : إنه يضرب طارق ابن خالته وهو
أكبر منه .

وقلت لكوكى فى نبرة هادئة : إننى لا يعجبني افتخاره بضرب
الآخرين صغارا أو كباراً ، فأكد كوكى : أنه لا يضرب طارق
إلا عندما يجتمعان معاً عند جدته لأمه ، فالجدة توزع عليهما الحلوى
بالتساوى ، لكن هذا يغضب كوكى الذى يرى أن يكون نصيبه أكبر ،
وقال تفسيراً لذلك ما معناه . إن طارق ولد قبله بستين وأخذ من
جدته كثيراً من الحلوى قبل مولد كوكى ، غير أن الجدة لا تعدل بينهما
ولا تعطيه ما فاته من حلوى قبل مولده ، ولهذا فهو يأخذ نصيبه الضائع
من طارق بالقوة .

لم أجد ما أقوله للولد سوى أننى سوف أعوضه عما فاته من حلوى
جدته قبل مولده بشرط أن يتخلى عن فكرة ضرب طارق لأنها فكرة
الشیطان والشیطان شرير ، فوقف كوكى فوق مقعد السيارة يؤكد فى
حماس : أن ضرب طارق فكرته هو وليست فكرة الشيطان .
وما لبث أن تئاءب ونام قابلاً إلى جوارى كالملاك .



فى بيت أمى على الشاطئ . . جاء شقيقى الأصغر لزيارتنا وأقبل
نحو كوكى يسأله مداعباً : من أنا يا كوكى وما اسمى ؟ فرد عليه
كوكى قائلاً فى دهشة : رجل كبير مثلك ولا يعرف اسمه ؟؟ وأغرق
الولد فى الضحك ساخراً من عمه . ورغم هذه التصرفات وغيرها ،
فقد أسعدنى كثيراً أن كوكى أثمرت فيه نصائحى الهادئة ، وبدأت

قصصه الخيالية تتحول من مغامرات المواجهة مع الأسد تابو إلى قصص
عن إغاثته للضعفاء ، غير أن القصة التي ألفتني هي تلك التي حكاها
- وهو يمسك بمايوه نسائي - عن بطولته في إنقاذ صاحبة هذا المايو من
الغرق !

- ومن أين جئت بهذا المايوه .
- أخذني كوكي من يدي ومضى بي على طول الشاطئ الهادي ، ثم
أشار إلى موضع عثوره على المايوه ، وأيقنت أنه لإحدى السائحات
اللاتي كن يملأن الشاطئ في الصباح ، ربما طار منها أثناء تجفيفه .



عندما عدت من عملي بعد تلك الإجازة القصيرة كان كوكي يمسك
بالمايوه ويشرح لأمه كيف كانت صاحبة المايوه تسبح مع دادي الذي
كان يعلمها العوم ، وكيف أن دادي فشل في إنقاذها عندما بدأت تغرق
فتولى كوكي أمر إنقاذها .

القصة الوحيدة التي صدقتها زوجتي .. لأن كوكي في رأيا ملاك
طاهر لا يكذب !



والإمضاء سين

أنا مريض بالملل العاطفى . لا أستطيع أن أحب امرأة أكثر من شهر حتى ولو كانت ملكة جمال الكرة الأرضية ، واليوم كان اللقاء الأخير مع دوللى التى عرفتھا منذ واحد وعشرين يوماً .

سألتنى دوللى : من اللاتى عرفتھن قبلى ؟
قلت لها وأنا أحصى عدد اللواتى عرفتھن فى الشهور الأخيرة : سونيا ونانو ودورا وماجى وطامو وفيفيت وتوتى ولولا وميمى وروكى وريرى ثم أنت ثم فافى .

قالت فى دهشة واستنكار : أتقول فافى بعدى ؟

قلت لها فى هدوء : بعدك ياروحى .

انتفضت دوللى واقفة والتقطت حقيبة يدها من فوق المائدة وانصرفت غاضبة .

الحمد لله . مع السلامة .

مسكينة زوجتى كريمة .

الحقيقة أننا نحن الرجال جنس لا يعاشر ، وسوف تظل النساء جميعاً مسكينات بائسات مادمّن مضطرات للزواج من الرجال . كم هى طيبة كريمة ! إنها تحاول بإخلاص أن تصدق كل ما أقوله ، ولكن يبدو أن هذا فوق طاقتها ، فكثيراً ما أرى فى عينيها آثار الدموع . لكن ينبغى ألا أغمط نفسى حقها إذا وضعت فى اعتبارى أنني مريض بالملل ، فأنا إذن بطل لأنى لأزال صامداً فى زواجى منذ ست سنوات .

من ناحية أخرى أشهد أن كريمة تبذل كل جهد لكي ترضيني ،
ومنذ عرفت مثلاً أنني أحب صينية الكبيبة وهي تتفنن بين يوم وآخر في
صنعها ، مرة كبيبة بالجوز ، ومرة باللوز ، ومرة بالفستق ، واليوم
أعلنت أنها أعدت لي صينية كبيبة باللحم .
مم كانت تصنع كريمة الكبيبة قبل ذلك ؟

.....
ذهبت إلى الاجتماع الذي يعقده مجلس إدارة ملاك العمارة . عرفوني
اليوم بساكنة جديدة في عمارتنا : مدام زازا . في اللحظة التي وقعت
فيها عيناى عليها شعرت أنها تخطف قلبي . امرأة رقيقة الجمال ، فيها
النضرة والنضج ودفء التجربة . هذا الطراز من الجمال هو الذي
عشت عمري أحلم بلقائه . لا أدري إن كنت قد لمحت في عينيها
كلمات صامته موجهة لي ، أم أنني شديد الغرور ومفتون بنفسى .
الفرض الثاني هو الأرجح . كان في صحبتها رجل ثقيل الظل . يتكلم
كثيراً فلا تلاحظ أنه يتكلم ، وإذا توقف عن الحديث لا تلاحظ أنه
سكت .

مدام زازا استولت على مشاعرى . خمسة أيام مضت على لقاءها في
مجلس إدارة العمارة وهي لا تبرح خيالى . اكتشفت أنني سعيد جداً بهذا
الخيال !

توصلت إلى فكرة رائعة تجعلنى أحب زازا دون ملل وهي : الغرام
عن بعد ! لا أريد أن ألتقى بها أو حتى أحدثها في التليفون . سوف
أكتفى بأن أرسل إليها زهوراً مع كلمات الحب والتوقيع : سين .
الآن لا يعينى من تكون زازا هذه . حسبي أنها كائن جميل . بل إن
الغرام عن بعد يجعل منها مخلوقاً أسطورياً غير كل البشر .
نفذت الفكرة وأرسلت أول باقة زهور إلى زازا ومعها كلمات تقول :
إن حنينى إليك لا ينتهى . الآن أعرف أن آلام الحب أحلى بكثير فعلاً
من كل متع الحياة : سين .

.....
أرسلت باقة الزهور الثانية ومعها : أى سر فيك يا أغلى أسرارى ؟

لا أدري : سين .

.....
عثرت كريمة في جيب سترى - بالمصادفة - على ورقة بخط يدي مكتوب فيها زازا وأمام الاسم رقم تليفون . كانت الورقة في جيبى منذ رأيت زازا لأول مرة في الاجتماع الشهرى .
ولم تحاول كريمة أن تجرب التليفون لأنها لا تعرف أننى قد اعتدت أن أغير وضع الرقمين الأخيرين في نوتة التليفونات الخاصة تحسباً لوقوع النوتة في يدها . وقد سألتنى كريمة عمن تكون زازا .
فقلت لها : إنها كلبة صديق عزيز ، وأن الكلبة عند الطبيب البيطرى في غرفة الانعاش ، وقد رأيت مجاملة للصديق أن أدون اسم الكلبة ورقم تليفون الطبيب ، ولكن يبدو أننى أخطأت في تدوين الرقم ، فكلما اتصلت للاطمئنان على الكلبة قالوا النمرة غلط .
واستفسرت كريمة بهدوء - كعادتها - عما أصاب زازا فقلت باقتضاب .. إنها أمراض الشيخوخة لأن الكلبة طاعنة في السن .
قالت كريمة بنفس الهدوء : زازا أصبحت في صحة جيدة والحمد لله .

وكيف عرفت يا كريمة ؟

تكلمت زازا في التليفون وسألت عنك .

كان رد الفعل الظاهرى عندى ضحكة باعتبار أن ما قالته كريمة نكتة ظريفة ، واستقبلت هى ضحكى بهدوئها المعهود ، لكنى كنت في الحقيقة مشغولاً بسؤال هام : هل اتصلت ب زازا فعلاً ؟ وفجأة أنقذتنى كريمة من حيرتى تسأل : قل لى الحقيقة .. هل هى زازا التى سألت عنك ؟

قلت ضاحكاً : كيف يمكن للكلبة أن تسأل عنى وتقول رشيد موجود ؟ ألا تعرفين أن الكلاب لا تستطيع أن تنطق بحرف الشين ؟
في اجتماع مجلس إدارة العمارة راودنى إغراء عنيف في أن أتحدث إلى زازا خاصة أن الرجل الثقيل لم يكن في صحبتها ، لكننى قاومت بصعوبة شديدة لوأننى اقتربت من هذه المرأة فلن تلبث أيامى أن

تصبح مللاً وضيقاً وبحثاً عن امرأة جديدة . إننى أظل أعدو لاهثاً وراء
الأمنية حتى إذا أدركتها ألقيت بها جانباً وتأهبت للجري وراء أمنية
جديدة . فامتلاك المرغوب يشعرني بالزهد فيه . . إننى سعيد حقاً بأن
أهت جاريّاً خلف زازا دون أن أمسك بها . فأنا أحيا معها فى خيال
مدهش ومثير ، أتصور المكان الذى ألتقى بها فيه عند حافة البحر تحت
النخيل . آخذ يدها الرقيقة بين يدي وأنشق عطرها وأسمع الكلمات
التي تتهامسها .

وأمس الأول دخلت كريمة غرفة مكتبى فوجدتني أحتضن الهواء
وأهمس باسم زازا . وعندما تنبهت إليها أنزلت ذراعى وابتسمت دون
أن أعرف ماذا أقول ، فبادرتني هي قائلة : واضح أنك تحب زازا .
قلت ضاحكاً : بل أنا لا أحب إلا أنت والكيبية .
لقد كنت فى البداية أخجل بيني وبين نفسى عندما تكتشف كريمة
أننى ألعب خارج البيت ، لكننى استطعت أن أتغلب على هذا
الخجل .

.....
أرسلت باقة زهور اليوم إلى زازا مع هذه الكلمات : سأظل أحبك
دائماً . إن ستندال يقول : الحب بشر يرتوي منها الإنسان بقدر ما يضع
فيها من حب ، وبشرى لن تنضب أبداً يا حبيبتي : سين .

.....
يبدو أن امرى انكشف عند زازا . هل عرفت من أحد باعة الزهور
أننى صاحب الباقة التي تصلها بين يوم وآخر ؟ لا أدري ولكن كان
واضحاً تماماً أن نظراتها لى فى الاجتماع تولينى اهتماماً خاصاً ، غير أننى
تجاهلت هذه النظرات تماماً حتى لا أفسد قصة حبي .
أرسلت إليها باقة زهور ومعها كلمات للتضليل : متى ألتقى بك
فأشعر أن الدنيا قد أعطتني أكثر مما ينبغي !

.....
تأكد لى أن نظرات زازا كانت ملحوظة تماماً . فقد قال لى جارى
رشدى وهو يغمز بعينه : إن مدام زازا تهتم بى اهتماماً خاصاً .

أنكرت ما يزعمه .

.....
التقيت برشدى فى المصعد . ألقى فى أعماقى بقنبلة لايزال انفجارها
يدوى . قال : إن زهيرة علوى - زازا - لها ماضى مرعب وينبغى أن
أحترس منها ، إذ يقال إنها قتلت صديقاً لها غيرة عليه وشوّهت وجه
صديق آخر بماء النار .

ابتلعت ريقى بصعوبة أسأله : معقول ؟
لم أنم الليل .

.....
حدث دراماتيكى هام .
اتصلت بى مدام زازا فى مكتبى وبدأت تحدثنى عن خطة جديدة
وضعتها لصيانة مرافق العمارة .

كان صوتها عذباً رقيقاً أشبه بخدر يسرى فى كيانى . أفقت على
عبارتها التى تقول : هل تتفضل بشرب فنجان شاي معى ونبحث فى
التفاصيل أكثر ؟

وجدتني أعذر تلقائياً ، بل كنت جلفاً فلم أعتن حتى باختيار ألفاظ
الاعتذار اللبقة . وضعت الساعة ورحت أحرق فى التليفون كالأبله .
ما الذى حملنى على هذا التصرف ؟؟ على أية حال هذا أفضل . هل
هو أفضل حقاً ؟ لا أدري . كل ما أعرفه أنني أريد أن أحب هذه المرأة
الجميلة فى خيالى فقط .

.....
التقيت فى النادي بالدكتور عمر سامى الذى أرشدنى إلى عمارة
شقيقه فاشتريت مسكنى فيها . دار الحديث حول زهيرة علوى التى
اشتريت فيلا فى البناية ، فقال الدكتور عمر : إن زهيرة قتلت صديقها
بسبب الغيرة ، وتعرض صديق آخر لتشويه وجهه بحامض
الأيدروكلوريك .

سرت رعدة فى جسمى ، الخبر إذن صحيح .
قلت له : متى حدث هذا ؟

قال : منذ سنوات قتلت الأول في إيطاليا ولم تثبت عليها التهمة ،
وأصيب الثاني بحروق شديدة سافر بعدها إلى أمريكا للعلاج ولم يعد .
فقد توعدته بالقتل .
هل هذا معقول ؟

توقفت عن إرسال الزهور ، لكنني لم أكف عن حب زازا . أشعر
باضطراب نفسي شديد ولا أستطيع أن أحدد موقفى أو خططى تجاه
زازا .

مفاجأة مذهلة .
اتصلت بي زازا في المكتب وسألتني : لماذا لم تعد ترسل لى زهوراً ؟
أين كلماتك الحلوة ؟
أصابني خرس عظيم وجاء صوتها يناديني يا أستاذ رشيد آلو .
قلت : نعم .
قالت : أين أنت .. أريد أن أسألك : هل حقاً تكن لى هذه
العواطف الجميلة ؟
لست أذكر ما قلت لكنني على وجه اليقين كنت أبله الكلمات .

عاودت زازا الاتصال بي . قالت فى دهشة : أسبوع بلا زهور
وبلا كلمة حلوة من كلامك ؟ لابد أنك أحبيت امرأة أخرى ثم
ضحكت قائلة : سأغار .
تغار؟؟
يا للمصيبة السوداء .

اتصلت بي زازا . أصدرت تعليمات بأن يقال لها إننى غير موجود .

التقيت بزازا فى المصعد .. حيثنى برقة فرددت التحية بارتباك
شديد . فتحت شنطة يدها فخيل إلى أنها سوف تخرج مسدساً أو

حامض أيدروكلوريك . صرخت فيها : أرجوك يا مدام اعقلي .
اندهشت زازا كثيراً وقد توقفت يدها عن البحث داخل الشنطة . كنت
قد ضغطت زراً فوق المصعد ، وما إن انفتح الباب حتى أطلقت
ساقى للريح فوق الدرج .

.....
أصبحت أصعد إلى شقتي في الدور التاسع على السلم حتى لا ألتقى
بزازا .

.....
عدت إلى البيت لأجد كريمة تبكي قالت لي : إن زازا زارتها
للتعارف ولتعرض عليها مشروع صيانة مرافق العمارة . اختنق صوت
كريمة وهي تقول لي : لا يصح أن تصل المسائل إلى هذا الحد فتأت زازا
في بيتي . أقسمت لكريمة أنني لم أكن في يوم من الأيام مخلصاً لها مثلما أنا
في إخلاص اليوم . هدأت من روعها وقلت لها ضاحكاً : إنني لا أحب
في هذه الدنيا إلا هي والكيبية .

★ ★ ★

لم يكمل رشيد مذكراته فقد مات مسموماً بصينية كيبية .

★ ★ ★

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٣	الإهداء
٥	كلمة المؤلف
٧	في انتظار الساعة العاشرة
١٧	هولاكو
٢٥	الكراسى
٣٣	الخليفة
٤١	الرجل الآخر
٥١	في الحرمك
٦١	الإمتحان
٧١	الرجل الأسطورة
٨١	ليالى الليدى عبدالواحد
٨٩	في الباسفيك
٩٩	الشبح
١٠٩	البوابة الذهبية
١١٧	وجاء الحصان الأبيض
١٢٧	خصلة شعرها
١٣٧	لعبة زوجك
١٤٥	واحد من الملائكة
١٥٣	والإمضاء سين

رقم الإيداع ٩٧/ ٤٩٦٠
الترقيم الدولي I.S.B.N
977 - 08 - 0331 - 6

طبعتم بمطابع دار أخبار اليوم